جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

تحاكم الفهم والقراءة في الممارسة النقدية العربية (ابن مَعْقِل الأزدي أنموذجاً)

الدكتور

إيهاب عبدالفتاح أحمد

مدرس بقسم اللغة العربية ـ كلية الآداب
جامعة بني سويف ـ جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م
الجزء التاسع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

تحاكم الفهم والقراءة في الممارسة النقدية العربية

(ابن مَعْقِل الأزدي أنموذجاً)

إيهاب عبدالفتاح أحمد

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة بني سويف ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : drehab2022@gmail.com

الملخص

في جدل فنّي تفاعلي خلّاق ــ قراءة وإنتاجًا ــ انتقل الصراع النقدي في القرنين الرابع والخامس الهجريين من التنازع بين القديم والمحدث إلى المنتج الحداثي نفسه، ومن ثمّ انصرفت عناية المنجز النقدي في بعض مناحي شقّه التطبيقيّ إلى تداول الشعراء للمعاني، وتشكيلها تشكيلاً صياغيًا جديدًا يكسبها الخصوصية والتميز عند كلٍّ منهم؛ الأمر الذي أفرز قُرّاءً فاعلين ومُنْتِجين وضعوا مقاييس وتصورات أخذت مع التطور الاجتماعي والبعد الثقافي شكل قراءات متعاقبة فتحت الأفق أمام إنتاجات جديدة تحاول أن تعالج معضلات المؤلفات السابقة؛ كما طرحت هي الأخرى معضلات جديدة .

ومن ثمّ يبرز هذا البحث موقع الفهم والقراءة في الممارسة النقدية العربية القديمة، ودور كليهما في إنتاج دلالة المعنى كما يعكسه إسهام ابن مَعْقِل النقديّ عبر كتابه المآخذ على شرّاح أبي الطيب المتنبي، ولا سيما مآخذه على شرح ابن جنّي في(الفَسْر)، ومآخذه على شرح أبي العلاء المعرّي في(اللامع العزيزي)، وبالتالي دراسة الأدوات المنهجية التي استند إليها في منجزه النقدي، والوقوف على مسوغات القراءة داخل هذا المنجز .

الكلمات المفتاحية : الفهم، القراءة، الممارسة، ابن معقل، المآخذ، المتنبي، ابن جنّي، المعرّي .

Reading comprehension and reading in Arabic critical practice (Ibn Ma'qil Al-Azdi as a model)

Ehab Abdel Fattah Ahmed
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Beni Suef University, Arab Republic of Egypt .
Email: drehab2022@gmail.com

Abstract

With an artistic, interactive and creative debate in the 4th and 5th centuries Hijri, critical conflict is shattered between what is old and generated, to move slightly to the modern product itself. The critical work/achievement including its applied part go to the poets' deliberation of meanings to be formatted in a new form that gives them distinction and privacy for many poets. With a socially developed frame, and by setting visions and measures, many readers are filtered varies from active and productive readers. A cultural dimension that form successive readings opened the horizon for new productions and works to address the dilemmas of previous works and pose new ones .

For this reason, the present study highlights the position of both reading and understanding in the ancient Arab critical practice, and the role of both in producing the connotation of meaning as reflected in Ibn Ma`aqil El-Naqdee's book El-Makhezz on Abi Al-Tayyeb Al-Mutanabbi's Commentary with a focus on Ibn Jinni's commentary in (Al-Fusr), and Abi Al-Alaa Al-Maarri's explanations as in (Al-Lama 'Al-Azizi). Consequently, the study investigates the methodological tools that Ibn Ma`aqil relies on in his critical work in order to stand on reading rationales within this critical achievement .

Keywords: Understanding- Reading- Critical Achievement- Practice – Ibn Maaqual- Al- Mutanabbi- Al-Maarri- Imperfection

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

ترتكز قيمة النص على احتماله عدة أوجه من التأويل، أو ما سموه القدماء الاتساع، وإنما يتسع فيه التأويل حسب قوة اللفظ، فكلما كان اللفظ قويًّا، احتمل لقوته وجوهًا من التأويل والتفسير. ومعلوم أن عملية القراءة تتمُّ وفقًا لأفق التوقُّع الذي يصحبها، على أن استجابة هذا الأفق للنص تتم وفقًا لمخزون الخبرة لدى القارئ، ووفقًا لما يصنعه النهج الذي بُني عليه سياق النصِّ المقروء، وفي كلتا الحالين يقوم القارئ بدور فعَّال خلّاق في الكشف عن خبايا النص ومكنونه، ومن ثمّ تأويله وتفسيره.

والنص الشعري القيّم هو الذي يعطيك في كلِّ مرَّة من قراءته معنى متجدّدًا، فعندما ينطلق المتلقي في أجواء النص، متأملاً بحسّه وفكره، ومتفاعلاً مع معطيات النص، بحثًا عن مكنوناته الدلالية الجمالية، واقفًا على جمال التعبير فيه؛ يتحول النص من حالة الكمون إلى حالة التحقق. والحقيقة أن ديوان المتنبي يعدّ نصًّا مفتوحًا كلما أحسنت قراءته نشأت بينك وبينه جدلية الحوار، وكلَّما كنت متنوِّع الرؤى، متفتِّح الآفاق، باحَ لك بأسراره، وأفضى إليك بمفاتيح مغاليقه؛ ولهذا سار حوله جدلٌ نقديّ في مسارات عدة؛ من أبرزها شروحه، وتفسيره، والتعليق عليه.

ارتبطت تلك الشروح بتعميق البحث في دلالات النص، لإخراجه في صورة قريبة يدرك المتلقي مدلولاتها، انطلاقًا من أنّ عملية استيعاب النص لا تتم إلا بالكشف عن هذا النص وتخريج معانيه، وتحديد نصوصه المرجعية؛ ومن ثمّ كان مسعى الشرّاح هو التعامل مع النص بوصفه دائرة متعددة الحلقات، كي تتفتح أمام المتلقي آفاق واسعة؛ ولهذا اختلفت الشروح وأثارت نقطة الاختلاف جدل الشرّاح أنفسهم، وأدخلتهم في إشكالات عدة؛

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن ثمّ ظهرت المآخذ بوصفها نصًّا آخر موازيًا للشرح، من مثل شرح ابن جنّي(الفَسْر) آخذه عليه عدد من النقاد، كابن فورجة بكتابيه: (التجنّي على ابن جنّي)، و(الفتح على أبي الفتح)، وابن مَعْقِل بكتابه موضع(المآخذ على شرّاح ديوان أبي الطيب المتنبي).

وفي غضون التوفر على دراسة شروح ديوان المتنبي، نجد أن الديوان من النصوص التي تفرض نفسها على ذهن القارئ، بل تدعوه إلى إعادة القراءة وتُلِح في ذلك، وتدفعه إلى التأمل والتفكير على كافة المستويات؛ الصوتي، والصرفي، أو النحوي والإعرابي، أو البلاغي والأسلوبي؛ مما يدل على القيمة الفنية المميزة للديوان. ومن بين تلك الشروح؛ شرح ابن جني(الفَسْر)، وشرح أبي العلاء المعرّي(اللامع العزيزي)، وشرح الواحدي(شرح ديوان المتنبي)، وشرح التبريزي (الموضح)، وشرح الكندي(الصفوة)، وهذه الشروح درسها أبو العباس أحمد بن علي بن مَعْقِل الأزدي المهلّبي في كتابه: (المآخذ على شرّاح ديوان أبي الطيب المتنبي)، وقام بنقدها، والتنبيه إلى ما أغفلته، وتَبْيين ما أُشكِل على أصحابها، وخَفِيَ عنهم؛ ومن ثمّ إنتاج نصٍّ موازٍ لتلك الشروح، بوصفه متلقيًا مشاركًا في إنتاج المعنى.

وتأتي أهمية هذا البحث من أنّه يسلّط الضوء على جنسين أدبيّين نقديّين عند العرب؛ (الشروح) و(المآخذ)، في محاولة لمعرفة إجراءات تلك الشروح واتجاهاتها، متمثلة في(الفَسْر)لابن جنّي، و(اللامع العزيزي) للمعرّي، وطرائق كلٍّ منهما في قراءة شعر المتنبي وفهمه وتذوقه، ومن ثمَّ معرفة طبيعة الرؤية النقدية في مآخذ(ابن مَعْقِل)عليهما، ومدى مشروعيّة هذه المآخذ وتمكّنها من الكشف عمّا أُشكِل من شعر المتنبّي.

المحور الأول: الخطاب النقدي وديوان المتنبي

كان للمتنبي حضور خاص في النصوص النقديّة التّي أُنتجت حول مُنجَزِه الشّعري، فهو شاعر يجمع في شعره بين الأصالة والمعاصرة؛ ففيه من الجزالة والقوة والبيان ما يجعله أصيلا، في الوقت الذي يضمِّنه فلسفة حياة وثقافة تنتمي إلى عصره؛ ولهذا حار فيه النقاد واختصموا في شاعريته، فقد وضعهم أمام طريقة جديدة قديمة في قول الشعر لا ينفع فيها ما اعتمدوه من مقاييس ومواصفات، إنها طريقة تتصرّف باللغة تصرّف المستبدّ، في جرأة تبالغ حتى تمسّ العقيدة الدينية، وتنتحل آراء فلسفية غريبة(١).

لم يكن غريبًا أن يُحدثَ ظهورُ المتنبي دويًّا في الحركة النقديّة على ساحة الأدب العربي، أو أن يَنشَأَ حوله خصومات قائمة على الاستهجان والاستحسان، سواء بين معاصريه أم بين من جاءوا بعده، وقلّما يحظى شاعر من الشعراء باهتمام القرّاء والنقاد مثلما حظي هو؛ "حتى قيل في شأنه: مالئ الدنيا وشاغل الناس"(٢). فهو شاعر مطبوع يستخدم ظواهره اللغوية ومفرداته عن قصد، وليس استخدامه لها استخدامًا عشوائيًّا، فالرؤية الفنية لديه توجِّه استعماله للغة سواء من حيث المفردات أو من حيث التراكيب، "وتتَّفق مع حرصه على إثبات جدارته بصحبة الأمراء والملوك، وتفوُّقه على مَن يغشى مجالسهم من أعيان الشعراء، والكُتَّاب،

(١) انظر عباس: إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط٤ ، ١٩٨٤م ، ص ٢٥٢.

(٢) شرارة: عبد اللطيف، معارك أدبية قديمة و معاصرة، دار العلم للملايين، لبنان، ط١ ، ١٩٨٤م ، ص٩٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والفلاسفة، واللغويين، والنقَّاد، والمتصوِّفة"[١]. ولعل ذلك كان سببًا في تربع المتنبي على عرش الإبداع الشعري دون منافس، ودون أن يفقد قدرته على التجديد المستمر.

ومما أسهم في اتساع نواحي النقد فيه انفرادُه بمواقف إزاء اللغة، وتعمقه في المذاهب النحويّة؛ فهو أول شاعر يتصنع في شعره تصنعًا نحويًّا، فقد كان الشعراء من قبله لا يكلِّفون أنفسهم الوقوف على المذاهب النحوية ومعرفة ما بينها من خلاف، ولم يكونوا يتعمقون دراسة النحو على هذه الصورة التي ظهرت عنده، وإن هم تعمقوا في ذلك فإنهم ما كانوا يتصنعون له في شعرهم، أما هو فإنه كان يحرص على التصنع له، حتى يستولي على أذهان اللغويين والنحويين[٢].

ومن ينعم النظر في شعره يجد عدة ظواهر لغويّة كانت محل اضطراب وخلاف بين أئمة اللغة؛ من ذلك ــ على سبيل المثال ــ ظاهرة الفصل بين الفعل وفاعله بجملة من الأفعال، فينشأ عن ذلك ما سُمّي عند النحاة متأخرًا بالتنازع، على نحو قوله:

جَمَدَ القِطارُ وَلَو رَأَتهُ كَما تَرى ∴ بُهِتَت فَلَم تَتَبَجَّسِ الأَنواءُ[٣]

ففي البيت تتنازع جملة من الأفعال، وهي: (رأت)، و(بهتت)،

(١) شبايك : عيد محمد، الشاهد الشعري في مبحثي الفصاحة والبلاغة١/٣، دراسات ومقالات نقدية وحوارات أدبية، حقوق النشر محفوظة لموقع الألوكة، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م..
(٢) انظر ضيف: شوقي ، الفن ومذاهبه، دار المعارف/ مصر، ط ١١ ، ص ٣٣٩.
(٣) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصريّة/ بيروت، ط ٢٠١٤م، ج١ ، ص١٦.

و(تتبجّس)على الفاعل(الأنواءُ)(*) . وفي هذه الحال، يجوز أن يكون معمولا لأي منها، إلا أنّ البصريين يفضّلُون أن يكونَ معمولاً للأخير منها؛ لقربه، والكوفيين يفضّلون الأول منها؛ لتقدمه، ونضمر معمولا للآخرين؛ وعليه يجوز رفع الأنواء من ثلاثة أوجه: أحدها: بقوله: رأته وهو المختار عند الكوفيين. والثاني: بقوله: بهتت الأنواء. والثالث: فلم تتبجّس، وهو المختار عند البصريين. "وفاعل ترى يعود على القطار، ويروى بدل ترى رأى: أي القطار ولكن ترى أحسن لأن القطار مؤنثة، والقطار جمع قطر، وقطر جمع قطرة وهي المطر، وبهتت دهشت وتحيرت، وتتبجس تتفجر، والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع رقيبه من الشرق وهي منازل القمر. والعرب تنسب إليها الأمطار يقولون: سقينا بنوء كذا. ويريد بجمود القطار الثلوج. يقول: إن المطر جمد لما رأى كرم هذا الممدوح ولو رأته الأنواء كما رآه المطر لتحيرت ودهشت ولم تتفجر فلم تأت بمطر استعظاما لما يأتيه وخجلا من جوده. (١)"

وكذلك ظاهرة إعمال(لا)العاملة عمل(ليس)في المعارف، على نحو قوله:

إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى ∴ فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيَا(٢)

(*) يرى بعض النحاة أن التنازع يعدّ من أكثر الأبواب النحوية اضطرابًا، وتعقيدًا، وخضوعًا لفلسفة عقلية خيالية. ليست قوية السند بالكلام المأثور الصحيح، بل ربما كانت مناقضة له.راجع حسن: عباس، النحو الوافي، دار المعارف ــ مصر، ص٢٠١ وما بعدها.

(١) البرقوقي: عبدالرحمن، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، لبنان ــ بيروت، ١٩٨٦م، ج١ ، ص١٤٧.

(٢) المتنبي: أبو الطيب ، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٤٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ففي البيت شبه المتنبي(لا)بليس فنصب الخبر(مكسوبًا و باقيَـا). و(لا) تعمل عمل (ليس)إذا وليتها النكرة، وهاهنا وليتها المعرفة، وهذا أمـر فيـه اضطراب واختلاف بين النحاة؛ فعند الجمهور تعمل(لا) عمل(ليس)، وذهـب الأخفش إلى أنها لا تعمل ذلك العمل، وذهب الزجَّاج إلى أنها ترفـع الاسـم فقط، ولا تنصب الخبر، والذين ذهبوا إلى أنها تعمل عمل(ليس)اختلفوا فـي شروط إعمالها، فذهب بعضهم إلى وجوب تنكير معمولَيْها، ولم يشترط ذلـك بعضهم(١).

وقد تتدفعه ثقافته الواسعة التي تحتـوي الغرائـب والشوارد من كلام العرب إلى أن يأتي بالمفردات الغريبة اللفظ والمعنى التي لا صدى لها إلا في كتب الغريب وكتب النوادر؛ من ذلك ــ كما جاء عند نقاده ــ جمعـه كلمـة (بوق) جمعَ مؤنثٍ سالم، مع أن قياس جمع الكلمة أن تُجمع على(أبـواق)، كما في قوله:

فَإِنْ يَكُ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ ∴ فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ(٢)

ولقد عاب ابن جني على من أخذ على المتنبي في هذا البيـت قـائلاً: "عاب مَن لا خبرَة له بكلام العرب جمعه(بوقًا)بالألف والتاء، وقوله هذا جائز غير معيب، وقد جاءت له نظائر كثيرة في كـلام العـرب، قـالوا: سِـبَحْلٌ وسِبحْلاتٌ وقالوا: حمَّام وحمَّامات، سُرادقٌ وسُرادقاتٌ. . . وجعلـوا ذلـك قياسًا مطردًا، يقولونه في جمع ما لا يعقل من المذكر الذي لا يوجد له مثال لقلّته، وقد أجازوه أيضًا فيما يؤخذ له مثال القلة. قال أبو طالب: (أُسْدٌ تُهَـدُّ

(١) محمد: الحسيني، تعدد آراء أبي حيان في المسألة الواحدة، شـبكة الألوكـة / حضـارة الكلمة / روافد، تاريخ الإضافة: ٢٠٠٨/٤/٢٨ م - ١٤٢٩/٤/٢١ ه .
(٢)المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص١٨٠.

بالزئيراتِ الصَّفا)وهو جمع زئير، ومثله: جواب وجوابات"[١]، هذا إلى جانب أن جمع المؤنث بوقات له دلالة على التقليل، والتقليل يتماشى مع الصورة التي أراد أن يرسمها الشاعر لغير ممدوحه من الملوك، فإذا كان سيفًا لدولته له أثره وخطره، فغيره من الملوك بمثابة البوق والطبل؛ فارغ القيمة لا صوت له ولا نغم.

والحق أنّ المتنبي كان معتدًّا بنفسه وأدبه، ومؤمنًا بتفوقه على أقرانه من الشعراء وغيرهم؛ مما أحسسه بالتميّز والتفرّد، الأمر الذي أورثه خصامًا مليئًا باللَّدَد والعناد؛ إمّا من الأمراء، والولاة، والوزراء، والقضاة، ولا سيما حين يُقبلون عليه ليمتدحهم، ويُعرض عنهم لإحساسه بأنّه كُفُؤٌ لهم، وإمّا من الفقهاء، والأدباء، والشعراء، واللغويين، والنحويين، ولا سيما لعلاقته الحميمة بسيف الدولة وما حظي به عنده من صلات وحظوة وثراء ومجد، إلى جانب الطرب الذي أحدثه شعره في نفوس المعجبين، فما لبث حتى كيدت له المكائد، ودست له الدسائس، واتحدت كراهية أشخاص كثيرين ضده؛ للغض من شاعريته وقيمته، وللانتقاص من ذوقه في كل ما تناوله من موضوعات، فتألفت عصبة مناوئة له استثارتها أفعاله، وكان أبو فراس الحمداني ابن عم سيف الدولة روحَ هذه العصبة، وتحلّق حوله كبار رجال الدولة؛ كالقاضي أبي حصين، والأميرين أبي محمد وأبي أحمد بن الورقاء، والنحوي ابن خالويه الذي لم ينس هزائمه أمام المتنبي في المساجلات العلمية[٢].

---

(١) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، تحقيق رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ج٢، ط١، ٢٠٠٤م، ص٨٢٧ ، ٨٢٨.

(٢) انظر بلاشير: ريجيس، أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، ط٢ ، ١٩٨٥م، ص٢٠٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أسرف المتنبي في عدائه لتلك العصبة، ومضى في استطالته عليها واستعلائه دون أناة ولا تواضع، بينما هي ماضية في الكيد له والوقيعة به، وتصطنع في ذلك من المهارة ما لا يصطنع؛ إذ كانت تخفي الكيد حين تلمس رضا الأمير عنه، وتبديه حين ترى منه إعراضًا ونفورًا، وما زالت تلك حالها حتى استطاعت أن تصرف سيف الدولة عنه، وتبيّن ذلك المتنبي حين كانت الخصومة بينه وبين ابن خالويه فِي مجلس الأمير، فأخرج ابن خالويه مفتاحًا من كُمّه وشجّه به حتَّى سال دمه وخضب وجهه، "والأمير يرى فلا يقول ولا يصنع شيئًا، ويخرج المتنبي محزونًا منكسر النفس يكظم غيظًا عنيفًا ولا يستطيع أن يبين عنه .... ويرى الشاعر نفسه محصورًا فِي حلب أو معرضًا فيها للموت، فهو يعود إلى داره، وقد استيأس من الأمير وأزمع الرحيل عنه، ولكنه يتلطف في ذلك، فيمضي أيامًا فِي هدوء ودعة وإعداد لأمره سرًّا، ثم يستأذن في الذهاب إلى إقطاع له عند معرة النعمان، فيأذن له الأمير"(١).

ولم تكن تلك العصبة هي الوحيدة في إثارة حملات ضد المتنبي، ولكن انضمّ إليها مجموعة من الوجهاء، والشعراء، والأدباء بدافع من الحقد، والحسد، والغيرة ممّا أُثقل به المتنبي من النّعم، وكان من أشهرهم الحاتمي، والصاحب بن عباد، والعميدي، فقد ألّف الحاتمي رسالة أطلق عليها(الرسالة الموضِحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره)، وحكى في أولها أن الدافع وراء تأليفها هو التشفي من المتنبي لصالح الوزير المهلبي؛ ذلك أن المتنبي قد ترفع عن مدحه نائيًا بنفسه عن مدح غير الملوك، "فشق ذلك على المهلبي، فأغرى به شعراء العراق، حتى نالوا من عرضه، وتباروا

(١) حسين: طه، مع المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط٢٠١٣م، ص٢٣٠.

في هجائه، فلم يجبهم، ولم يفكر فيهم، فقيل له في ذلك فقال: إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هو أرفع طبقة في الشعر منهم"[١]، ثم إنّ أبا الطيب لمّا غادر بغداد قاصدًا أبا الفضل ابن العميد، طمع الصاحب بن عباد في زيارة المتنبي إياه بأصفهان، فأبى ونفر، ولم يجبه إلى طلبه، فصيّره ابن عباد مرمى لسهام اتهاماته، فتتبّع عليه زلاته في شعره وهفواته، وألّف كتابه(الكشف عن مساوئ المتنبي)، "ثم استغل نفوذه في أوساط الأدباء والمثقفين لحملهم على تأييده، فيما ذهب إليه من انتقادات[٢]، أما العميدي فقد دخل أجواء الخصومة بدافع الحسد والغيرة ممَّا حظي به المتنبي من شهرة واسعة، فبالغ في هجومه دون قاعدة أو أساس يستند إليه في كتابه(الإبانة عن سرقات المتنبي).

ورغم أنّ هؤلاء الخصوم كانوا مدركين مقاييسَ السَّرق التي شاعت في عصرهم، فإنّهم في تعرضهم للتجربة الشعوريَّة عند المتنبي فرَّطُوا بهذه المقاييس، ولم يلتفتوا إلى ما توصل إليه النقاد والبلاغيون في بحث ما تمتاز به عملية الإبداع الفني، وما تشتمل عليه من تلازم وتداخل بين ثقافة الشاعر الخاصة والعامة، وبين شخصيته الفاعلة فيها، وتجاهلوا كذلك ما فطن إليه النقاد والبلاغيون من أن المفردات التي يوظفها الشاعر في إبداعه تحمل في طيّاتها عبق السابقين عليه، وما تحمله من فكر وخيال وشعور في مدلولها الاجتماعي، والثقافي، والحضاري، ثم هو يوسمها بطابع عصره وشخصيته وفنّه؛ الأمر الذي يعني أن تداول المعاني أمرٌ طبيعيٌّ بين كل سابق ولاحق.

---

(١) البديعي: يوسف، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي(مطبوع بهامش شرح العكبري)، المطبعة العامرة الشرفية، ط١، ١٣٠٨هـ ، ج١، ص١٧٦.

(٢) شرارة: عبد اللطيف، معارك أدبية قديمة ومعاصرة، مرجع سابق ، ص٩٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولأن ثمّة أمرًا دُبّر بليلٍ، فقد وضع هؤلاء الخصوم تلك المقاييس دَبَـر أذنهم، ولم يعترفوا بأي جيّد للمتنبي، فهو عندهم دائب السرقة، ولا يُحسـن الأخذ، ومن ثمّ انشغلوا بما يحقِّق لهم إدانته، "فكان أسهل الطرق إلى ذلـك، هو تَتبُّع مواضع التّشابه لفظًا أو معنىً في شعر المتنبي مـع غيـره مـن الشعراء، كما كانوا منشغلين بتتبُّع قضايا أخرى خارج موضـوع السـرق، محكِّمين في ذلك كلِّه مبادئ عمود الشِّعر، متجـاهلين أنَّ الطّريقـة التـي انتحاها المتنبي في شعره، هي طريقةٌ فريدةٌ لا يمكنُ التعامل معها دائمًا من خلال القواعد المألوفة؛ فالمتنبي كما هو أبو تمام، قد حرَّر عناصـر عمـود الشعر وتعامل معها بطريقة مرنة، تبعدُها عن الثَّبات والجمـود والقوالـب الجاهزة، حتى تتناسبَ مع مقصديَّتهِ في أداء الأفكار وتوصيل المشاعر. . . ولذا فقد كان الأجدر بالخصوم، أن ينطلقوا في أحكامهم النقدية مـن شـعر المتنبي ومن الجديد فيه، ليتوصَّلوا بعد ذلك إلى الخصائص العامّة التي تُميّز شعر هذا الرجل، أما أن يتشبّثوا بالمبادئ النقدية المستخلصـة مـن شـعر السابقين، ويعضُّوا عليها بالنواجِذ، ليحكّموها في شعر شاعر لم يأبه أصـلاً بتلك الثوابت، فإن هذا السلوك النقدي منهم يشي بالتحامل، ويظلمَ التجربـة الشعوريَّة لدى المتنبي التي أمْلتْ عليه تجاوزاته للموروث"[(١)].

ولمّا غلب هؤلاء الخصوم الحسدُ والعداوةُ أحدثوا عيوبًـا فـي شـعر المتنبي بعيدة عن السرق الذي زعموه، فجاء نقدهم في معظمه أشبه بنقـد المعاني؛ كتفاوت الطبع، واستعمال الألفـاظ النابيـة، والتعقيـد والإبهـام، والتكرار؛ فأما تفاوت الطبع، فكان في نقد الصاحب بن عباد لقول المتنبي:

---

(١) يونس: دعد، مناهج خصـومِ المتنبّي في دراسـةِ سـرقاته الشعريَـة، مجملـة جيـل الدراسات الأدبية والفكرية –العام السابع – العدد ٦٣ يوليو ٢٠٢٠م، ص٩٢ ، ٩٣.

بَليتُ بِلى الأطْلالِ إنْ لم أقِفْ بها ∴ وُقوفَ شَحيحٍ ضاعَ في التُّرْبِ خاتمُهْ[١]

يرى ابن عباد أن المتنبي قد جمع الإحسان والإساءة في بيتٍ واحد؛ فقوله: (بَليتُ بِلى الأطلال إن لم أَقِف بها)، هذا كلام مستقيم لو لم يُعقبْه ويعاقبْه بقوله: (وقوفَ شحيحٍ ضاعَ في التربِ خاتمُه)،"فإنَّ الكلام إذا استشفَّ جيده ووسطه ورديئه كان هذا من أرذلِ ما يقع لصبيان الشعراء وولدان المكتب الأدباء. وأعجب من هذا هُجومُه على بابٍ قد تداولتْه الألسنة وتناولتْه القرائح، واعتورتْه الأفكار ــ وهو التشبيب ــ بإساءة لا إساءة بعدها، ثم أتى بما لا شيء أرذل منه سقوطَ لفظ، وتهافتَ معنى، فليت شعري ما الذي أعجبه من هذا النظم، وراقه من هذا السبك؛ لولا اضطراب في النقد، وإعجاب بالنفس"[٢].

إذن لا يروق لابن عباد شطر المتنبي الثاني؛ حيث لا تناسب حاصل ــ من وجهة نظره ــ بين الواقف على الطلل الدارس وبين الشحيح الباحث عن خاتم غالٍ ضاع منه في التراب، متغافلا عما قرّره البلاغيون من أن النفس قد جبلت على الارتياح والشعور بالألفة حين تنكشف الأشباه والنظائر بين الأشياء المتباعدة؛ إذ إن"مبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعْهَد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدن له، كانت صبابة النفوس به أكثر، وكان الشغف منها أجدر"[٣]. وبقليل من التروّي نجد

(١) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٣٦.

(٢) ابن عباد: الصاحب، الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، تحقيق محمد حسين آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٥م ، ص٤٤ ، ٤٥.

(٣) الجرجاني: عبدالقاهر، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ص١٣١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أن هذا البيت من أبدع التشبيهات التي قالتها العرب؛ حيث يدعو الشاعر على نفسهِ أن يبلى إن لم يقفْ بالأطلال، مستدعيًا في شوق عهدًا مضى مع أحبائه، ثم أرادَ أن يصوِّرَ هيئةَ وقوفهِ الذاهلِ حين ينتقل من مكانٍ إلى مكانٍ في دهشةٍ من صروف الزمن وتحولاته في تلك الأطلال، بحالِ شحيحٍ فَقَدَ في الترابِ خاتمًا ثمينًا.

وأمّا استعمال الألفاظ الوحشية والنابية، فمثله ما جاء في نقد الحاتمي للفظتي رِبَحْلَةٍ و سِبَحْلَةٍ في قول المتنبي: (رِبَحْلَةٍ أَسْمَرٍ مُقَبَّلُهَا سِبَحْلَةٍ أَبيضٍ مُجَرَّدُهَا)[1]؛ إذ يقول الحاتمي: "فالربحلة العظيمة الجيدة الخلق، والسبحلة الطويلة العظيمة. . . لذلك تُستهجن هاتان اللفظتان في ألفاظ المحدثين لأنهما من ألفاظ العرب الجافية"[2].

ولكي نتصوَّر الإبداع في اختيار هاتين اللفظتين وثراءهما دلاليًّا، لا بُدَّ أن نستعرض سياق الأبيات الذي وردتا فيه؛ ذلك أن اللفظة إذا فصلت عن السياق التي وردت فيه فَقَدتْ مدلولها، يقول المتنبي:

فَفي فُؤادِ المُحِبِّ نارُ جَوىً ∴ أَحَرُّ نارِ الجَحيمِ أَبرَدُها
شابَ مِنَ الهَجرِ فَرقُ لِمَّتِهِ ∴ فَصارَ مِثلَ الدِمَقسِ أَسوَدُها
بانو بِخُرعوبَةٍ لَها كَفَلٌ ∴ يَكادُ عِندَ القِيامِ يُقعِدُها
رِبَحلَةٍ أَسمَرٍ مُقَبَّلُها ∴ سِبَحلَةٍ أَبيَضٍ مُجَرَّدُها[3]

(١) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص١٨٤.
(٢) الحاتمي: أبو علي محمد بن الحسن، الرسالة الموضِحة في ذكر سرقات أب الطيب المتنبي وساقط شعره، تحقيق: محمد يوسف نجم. دار صادر – بيروت. ١٩٦٥م، ص٢٦.
(٣) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص١٨٤.

فالمتنبّي هنا يصف محبوبته بأوصاف متعدّدة، فهي ناعمة الجسم لينة، ثقيلة العجيزة يكاد ردفها يقعدها لكثرة ما عليه من اللحم، جسيمة عظيمة الطول، شفتها فيها سمرة، وما تعرض للشمس من بدنها لونه أبيض، ومن ثمّ يكون سائر البدن أشد بياضًا، وهكذا يكون جمع لها كل أنواع الحسن، حتى لا يُلامُ في هواها. ويبدو جليًّا حرصُ المتنبي على أن يُظهر محبوبَته بمواصفات جسميّة متناسقة، فالمرأة اللينة سمينة لحيمة، وسمرة الشفاة تُحدِث تقابلاً ومفارَقةً مع بياض الوجه. والمرأة العربية ممدوحة بالسمرة في مُقَبَّلِها، وبثقل العجيزة وكثرة لحمها؛ وتباعًا لذلك فإن هاتين اللفظتين تلزمان لزومًا فنيًّا مع الصورة التي أراد الشاعر أن يرسمها لمحبوبته.

ومثله أيضًا ما جاء في نقد ابن عباد للفظة المُسبَطِرّ في قول المتنبي: (رِواقُ العِزّ فَوْقَكِ مُسبَطِرٌّ)[١]، فيقول الصاحب عن هذا: "ولعل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الصفيق الدقيق المغير"[٢].

ولفظة مُسبَطِرٌّ بمعنى ممتدّ، وهي لفظة مألوفة غير نابية، ومن ثمّ تسقط دعوى ابن عباد، فلا خذلان فيما شاع وكان دارجًا، وهي كلمة كثيرة الدوران على ألسنة الشعراء العباسيين، يقول البحتري:

فِي موْضِعٍ ضَنِكٍ تُمْسِي مَعَاقِلُهُ ∴ إذا اسْبَطَرَّ شِهَابُ المَوْتِ كالعُقُلِ[٣]

ويقول ابن الرومي:

(١) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٨.
(٢) ابن عباد: الصاحب، الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، مصدر سابق، ص٤٦.
(٣) البحتري: الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف / مصر، مج ٣، ط ١٩٦٤م، ص١٩٠٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أحَسْبك في العيدين إيجافُ موكبٍ ∴ تَخايل فيه مُسبطرّ المشافر[١]

هذا إلى جانب أن الواحدي في شرحه ديوان المتنبي يروي: "سمعت أبا الفضل العروضي يقول سمعت أبا بكر الشّعراني خادم المتنبي، وردَ علينا، فقرأنا عليه شعره، فأنكر هذه اللّفظة، وقال: قرأنا على أبي الطيب: رواق العز فوقك مستظلّ، قال العروضي: وإنّما غيره عليه الصاحب، ثم عابه به، وعلى هذا فقد سقط ثقل اللّفظ وكراهة المعنى"[٢].

وأمّا التكرار، فمثله ما جاء في نقد الحاتمي لقول المتنبي:

ذي المَعالي فَليَعلَوَنْ مَن تَعالى ∴ هَكَذا هَكَذا وَإِلّا فَلا لا[٣]

يقول له: "فقولك: (فلا لا)ركيكة جدًّا"[٤]. والحق أن تكرار(لا)في البيت ليس ركيكًا كما يزعم الحاتمي؛ لأن المقام مقام مدحٍ، ومن دلالات أداة النفي(لا)الانقطاع أو التلاشي، وتكرارها وثيق الارتباط بالمعنى العام للأبيات، فهو يشير إلى مآثر سيف الدولة الخالدة في محاربة جيوش الروم وانتصاره عليهم، ومنعه لهم مما كانوا عليه من حصار ثغر الحدث، فمن حاول التعالي، فليأت بمثلها فهذا سبيلها، وإلا فليترك طلبها. وتكرار لا النافية يتماشى مع دلالتها التي تفيد الانقطاع والتلاشي، فلا أحد يستطيع أن يتعاطى الإقدامَ والقوّة، والتعالي والرفعة، كما تعاطاها سيف الدولة. وهذا"نوعٌ من

(١) ابن الرومي: الديوان، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية/بيروت، مج ٢، ط ٣ ، ٢٠٠٢م، ص٦٠.

(٢) الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ضبط وتعليق ياسين الأيوبي، وقصي الحسين، دار الرائد العربي/ بيروت لبنان، مج٣، ط١، ١٩٩٩م، ص١١٠٥.

(٣) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٠٢.

(٤) الحاتمي: الرسالة الموضِحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي، مصدر سابق، ص٩٠.

التأكيد الناشئ عن كثافة الحالة النفسية التي تقترن بها محبَّة الشاعر لممدوحه ومبالغته في مدحه، وهذا مباح للشعراء"(١).

ويحذو العميدي حذو سابقيه في القسوة على المتنبي، والحيف عليه؛ للحطّ من شاعريته، ولو كان منصفًا لأمهل نفسه وتروّى قبل أن يتهم المتنبي بالتعقيد والإبهام في قوله:

وَفَاؤُكُمَا كَالرَبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ ∴ بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ

حيث يرى أن"الإنسان لو أوقد ألف شمعة ليستضيء بنورها إلى استنباط غوامض هذا البيت مع قلة الفائدة فيه لصعب عليه"(٢). ومن يتتبع هذا البيت في كتب الشرّاح(٣)يجد أنه لم يستهجنه أحد منهم، ولم يقل أحدهم أنه مبهمًا أو غامضًا. والمعنى: وفاؤكما بإسعادي على البكاء كوفاء الربع الدارس لي بذلك، لأن الربع إذا درس كان لي أشجى، والدمع إذا كثر كان

(١) شبايك: عيد محمد، الشاهد الشعري في مبحثي الفصاحة والبلاغة١/٣، دراسات ومقالات نقدية وحوارات أدبية، حقوق النشر محفوظة لموقع الألوكة، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.

(٢) العميدي: أبو سعد محمد بن أحمد، الإبانة عن سرقات المتنبي، تحقيق إبراهيم الدسوقي، دار المعارف/ مصر، ط١٩٦١م ، ص٩٦.

(٣) راجع شرح ابن سيده، تحقيق مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م. وكذلك شرح ابن بسام النحوي، تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر. وكذلك شرح الواحدي، تحقيق عمر فاروق الطباع، لناشر: دار الأرقم. وكذلك كتاب الفتح على أبي الفتح لابن فورجة، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق .وكذلك شرح التبريزي، تحقيق خلف رشيد نعمان، العراق/ بغداد، ٢٠٠٠م.وكذلك شرح شعر المتنبي للأفليلي، الناشر مؤسسة الرسالة، تحقيق مصطفى عليّان، وكذلك شرح العكبري، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، تحقيق مصطفى السقا/ وإبراهيم الأنبياري، مصر/ القاهرة، ١٩٥٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عندي أشفى، فكلاكما قد أسعدني على البكاء، فكنت أبكي الربع وحده فصرت أبكي معه وفاءكما وأشتفي بالدمع الذي هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجمه.

ولمّا أراد هؤلاء الخصوم تناول المسروق في شعر المتنبي، لم يتأملوه أو يتدبروه، وجاءت أحكامهم فيه مرتجلة تلقائية غير موضوعية؛ ومن ذلك نقد الحاتمي قول المتنبي في وصف إحدى كتائب سيف الدولة:

ومُلْمُومةٌ سَيْفِيَّةٌ رَبعِيَّةٌ ∴ يصيحُ الحَصى فيها صياحَ اللَّقالقِ(١)

حيث اتَّهم المتنبي بأخذه من قول النّامي:

تتُعتعُ ألفاظَ الحَصىَ بسنَابكٍ ∴ إذا كلَّمَتْه عجُمهنّ تُجيبُ(٢)

وقد ردّ المتنبي قائلًا: أمَا تشبهُ أصواتُ الحصى من تحت حوافر الخيل أصواتَ اللَّقالق؟ فردَّ عليه الحاتمي: هَبْهُ أشْبهَهُ، فهل هو من محاسن التشبيه؟(٣).

ومثل هذا في الانتقاد غير مقبول؛ لأن أسسه واهية، وعلله ناقصة مقتضبة، فالحاتمي يرى أن أبا العباس النّامي قد سبق المتنبي إلى هذا المعنى، فلمّا ردّ المتنبي عليه هذه الدعوى ألحق به تهمة فساد التشبيه. والحقيقة أن هذا تخبط من الحاتمي، ما ضرّه لو كان اعترف لأبي العباس

---

(١) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص٥٣١.

(٢) النامي : أبو العباس أحمد، شعر النامي، تحقيق صبيح رديف، مطبعة الإيمان بغداد، ط١٩٧٠م، ص٣٧.

(٣) الحاتمي: الرسالة الموضِحة في ذكرسرقات أبي الطيب المتنبي، مصدر سابق، ص٣٠ ، ٣١.

بفضل السبق إلى هذا المعنى، وللمتنبي بفضل الزيادة فيه؛ فإن كان أبو العباس قد رسم صورة مبنيّة على الاستعارة لأصوات الحصى تحت حوافر الخيل، فإن المتنبي سلخها وزاد فيها ما اجتمع له به الحسن، حيث شبّه هذه الأصوات بصوت اللَّقالق، وجعل من التعتعة صياحًا، وبقدر ما تكثر التفاصيل في التشبيه، وتعظم بنيته التركيبية، تعظم قيمته البلاغية، والتفصيل والتحليل في التشبيه منه ما يقوم على رابطة العقل، ومنه ما يقوم على رابطة الحس؛ ومن ثمّ فإن القيمة البلاغية في التشبيه الذي عقده المتنبي بين صوت الحصى وصياح اللقالق تزداد عظمة باستحضار الصورة السمعية، "وتفسير ذلك أنَّه عندما أراد إبراز قوة أفراد الكتيبة وثقل وَقْعِ أقدامِها على حصى الصحراء، وأراد أن يصوِّر للمتلقِّي ذلك الصوت الصادر عن ارتطام أقدامهم وحوافر خيولهم بهذه الحصى، تصويرًا أقرب ما يكون إلى الواقع، ومفعمًا بإحساس الحماس والإعجاب بقوّة جيش سيف الدولة، عندما أراد ذلك كلَّه تداعَتْ إلى خاطره صورةٌ سمعيَّةٌ وثيقةُ الصلة بالبيئة التي يعيش في أحضانها، وهي صورة(صياح اللقالق)التي تناسب المعنى المنشود كلَّ المناسبة"(١).

ومن أمثلته ــ أيضًا ــ نقد ابن عباد قول المتنبي:

عَظُمْتَ فلمَّا لمْ تُكَلَّمْ مَهَابَةً ∴ تَواضَعْتَ وهْوَ العُظْمُ عُظْمًا على العُظْمِ(٢)

ويعلِّق قائلاً: "فما أكثرَ عظامَ هذا البيت، ولو وقع عليه أبو الكلاب بجميع كلابه وهي جائعة لكان لهم فيه قوت، مع أنّه من قول حبيب بن أوس الطائي:

(١) يونس: دعد، مناهج خصومِ المتنبّي في دراسةِ سرقاته الشعريَة، مرجع سابق، ص١٠٢.
(٢) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٨٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تعظمتَ عن ذاكَ التعظُّمِ منهمُ ∴ وأوْصَاكَ نُبْلُ القَدْرِ ألَّا تَنَبَّلا"[١].

واضح من سخرية ابن عباد مدى حيفه على المتنبي؛ إذ إنه لم يكن ينتقد بدافع إثراء الحياة النقديّة والأدبية في عصره، وإنما بدافع من الغيرة ترغب في تحطيم المتنبي فنيًّا وإنسانيّا، ولو أعطى لنفسه فرصة التأمل والتدبر في دلالات البيت السياقيّة؛ لأنصف الشاعر، ولم يلحق به تهمة السرقة من أبي تمام؛ فالبيت هو آخر بيت في القصيدة التي تدور في معظمها حول شمائل الحسين بن إسحاق التنوخي، وقد أعطاه الشاعر درجة التميّز في كلِّ شميلةٍ؛ فهو يترفع عن النقائص، وعن كل ما يزري به، وهو كريم شجاع، ذو همّة عالية، وبالرغم من ثقل حمله، فهو عظيم القدر والنفس والهمة، كل هذه الشمائل جعلته مهابًا فلا يكلمه الناس، فلما هابوه تواضع عن تلك العظمة. يقول المتنبي:

أَبَت لَكَ ذَمّي نَخوَةٌ يَمَنِيَّةٌ ∴ وَنَفسٌ بِها في مَأزِقٍ أَبَدًا تَرمي

فَكَم قائِلٍ لَو كانَ ذا الشَخصُ نَفسَهُ ∴ لَكانَ قَراهُ مَكمَنَ العَسكَرِ الدَهمِ

وَقائِلَةٍ وَالأَرضَ أَعني تَعَجُّبًا ∴ عَلَيَّ اِمرُؤٌ يَمشي بِوَقري مِنَ الحِلمِ

عَظُمتَ فَلَمّا لَم تُكَلَّم مَهابَةً ∴ تَواضَعتَ وَهوَ العُظمُ عُظمًا عَنِ العُظمِ[٢]

وهكذا فإن البيت يسلِّط الضوء ويلفت الانتباه إلى شميلة التواضع ودفع النفس عن التكبر، وهي شميلة تدل على طهارة نفس الممدوح؛ ذلك أن ترفعه عن العظمة هو عين العظمة. أما مسألة أن البيت مأخوذ من شعر أبي تمام، فهذا من باب التداول والاستيحاء الذي لا يُعاب، ومن ثمّ تقترب

(١) ابن عباد: الصاحب، الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، مصدر سابق، ص٦٥.
(٢) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٨٠.

مفردات النص اللاحق مع النص السابق؛ ليكون النص اللاحق أو الموازي مستوعبًا النص الأسبق بين جناحيه، وفي جوانب تجربته الفنية على نحو ما تقترب أو تبتعد المصطلحات في هذا السياق من؛ الحوارية، أو المعارضة، أو الاكتفاء، والاحتباك، والتمثيل، وائتلاف المعنى مع المعنى، بما في ذلك من تعالق، أي وجود علاقات بين النصوص في فسيفساء النص(١).

لم تكن تلك الخصومة الشديدة لتمرّ في الوسط الأدبي والنقدي مروراً سهلاً بعدما أحدثت كلّ هذه المهاترة الأدبية ــ إن جاز هذا التعبير ــ التي صدرت عن قلوب حاقدة وألسن حاسدة، دون أن يتصدى لها أهل الإنصاف من النقاد والمفكرين، فقد أدرك أصحاب المقاصد النبيلة أنّ الموقف يحتاج إلى صون الحياة الأدبية عن الابتذال، "ويستدعي إعمال الرويّة والإنصاف، فهبّ علي بن عبد العزيز الجرجاني(مات سنة ٣٩٢ هـ)لأداء هذه المهمة، ووضع كتابه الشهير(الوساطة بين المتنبي وخصومه). . . وحين اطلع الجرجاني على رسالة صديقه(الكشف عن مساوىء شعر المتنبي)أعمل فيها عقله القضائي، وراح يدرس حيثيات كل دعوى من دعاواها، ويتناول كل حكم من أحكامها بالتحليل والتدقيق والتحقيق، تمامًا كما يفعل بين متداعيين في قضية إرث أو طلاق، حتى أفضى إلى هذه النتيجة، وهي أن صاحبه الصاحب كان متحاملا ، جائرًا ، مخالفًا لما يمليه الضمير، وتفصح عنه الحقائق والوقائع. . . وكان ظهور الوساطة خطوة واسعة نحو تغلّب الموضوعية في النقد على كل نزعة ذاتيّة لأن صاحبها أعمل روح القاضي

(١) انظر نوفل: يوسف، مدارات النص الكلي في الإبداع الشعري، دار العالم العربي، ط١ ، ٢٠١١م، ص٤١ : ٤٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

النزيه العادل في استعراض الأحداث الأدبية، والتوسط بين الأطراف المتخاصمة"(١).

وهكذا تنبّه النقاد والبلاغيون إلى تتبع شعر المتنبي، واختلفوا فيه على طائفتين؛ طائفةٍ تروم إزالتَه عن رُتبته، وتحاول حَطَّه عن منزلةٍ استحقها بأدبهِ، وهي في ذلك تجتهدُ في إخفاء فضائله، وإظهار مَعايبه، وتتبع سقطاتِه، وإذاعة غَفلاته، وفي المقابل لها طائفة شايعته، فنشرت ممادحه، وأذاعت فضائله، وتأوّلت له، "وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه؛ وكما أن الانتصار جانبٌ من العدل لا يسدّه الاعتذار؛ فكذلك الاعتذار جانبه أولى به من الانتصار، ومن لم يفرّق بينهما وقفت به الملامةُ بين تفريط المقصّر، وإسراف المفْرِط"(٢).

وتباعًا لما سبق فإننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن المتنبي قد تحقّق له ما رمى إليه في قوله:

أنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا ∴ وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ(٣)

فلم يكن مجرّد نصٍّ يتعالى فيه الشاعر على خصومه، مبديًا ارتياحه إلى هذه الخصومة الناتجة عن صعوبة الفهم والاختلاف في تأويل شعره، وإنما هو نصٌّ يرمز إلى وضعٍ حقيقيٍّ، حين يقذف الشاعر بالكلمة ويغيب متحدّيًا الكثيرين الذين يختصمون حولها؛ مما يؤكد على أن المتنبي لم يكن يرتضي الدلالة المعجمية لألفاظ نصّه، بل يريد شيئًا آخر وراءها، وهو

(١) شرارة: عبد اللطيف، معارك أدبية قديمة ومعاصرة، مرجع سابق ، ص١٠٠، ١٠١.
(٢) الجرجاني: علي بن عبدالعزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصريّة / بيروت، ط١ ، ٢٠٠٦م، ص١٢ ، ١٣.
(٣) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦٣.

المعنى المستخلص من تركيب كامل، "وهو المقصود بمصطلح الشرح والتفسير بل والتأويل"(١).

وهكذا أدرك المتنبي فعل القراءة الواعية، وكأنه حين يفرغ من شعره يغدو ملكًا لغيره من صفوة علماء الشعر؛ من مثل ابن جني، والمعرّي، وغيرهما، هؤلاء الذين صرح المتنبي بأنه يتجه بالشعر إليهم، وذلك ما يدل على هذا الخبر، الذي يرويه ابن جني عن المتنبي، إذ قال له يومًا: (أتظن أن عنايتي بهذا الشعر مصروفة إلى من أمدحه؟ليس الأمر كذلك، لو كان لهم لكفاهم منه البيت، قلت: فلمن هي؟ قال: هي لك ولأشباهك)(٢). ولا ريب أنّ ابن جنّي وأبا العلاء المعري قد وعيا مقولة المتنبي ومقصده جيدًا، ولهذا قدَّما آليات جديدة لقراءة النص الشعري لا تقف عند حدود اللفظ، بل تتجاوزه إلى الجملة، والسياق، والنص، وهما بحسهما اللغوي والبلاغي يستثمران كل المعارف اللغوية لخدمة النص في أبعاده النسقية والدلالية، ويؤسِّسان لمفاهيم حديثة تخص المعنى وتجلياته في انسجام البيت الشعري، واتساق دلالاته.

---

(١)انظر يحيى: عباس، الخصومة حول المعنى(المعنى الشعري بين احتكار القراءة ورفضها)ابن وكيع التنيسي أنموذجًا، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩ ، العدد ٣ و ٤ ، ٢٠١٣م، ص٢١٣.

(٢)وردت العبارة عند صلاح فضل في كتابه شفرات النص، ص١٢٥، عين للدراسات، القاهرة ١٩٩٥، ناقلا إياها من كتاب أبي العلاء المعري: شرح ديوان المتنبي، معجز أحمد، تحقيق عبد المجيد دياب ٥٦/١، القاهرة ١٩٦٨م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المحور الثاني: مسوغات قراءة ابن جني والمعرّي ديوان المتنبي

لم تَغْدُ قراءة النص مجرد وسيلة مادية للاتصال، بل باتت هي التي تحدد كيفيته(١)، فعندما يكتمل النص أمام المتلقي، يكون عليه أن يوجد العناصر الغائبة عن النص؛ لكي يحقق له وجودًا طبيعيًّا أو قيمة مفهومه، والنص يعتمد على هذه الفعالية اعتمادًا كاملا ودونها يضيع النص، فـ"حينما يقول المتنبي مثلا:

أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً ∴ أنْ تحسَبَ الشّحمَ فيمن شحمهُ وَرَمُ(٢)

فإنه يطلق البيت معلقًا في الهواء معتمدًا بذلك على فهمنا لأبعاد إشارات هذا البيت، وهو لا يريد منا أن نفهم المعنى الموجود في هذا القول، ولكنه يريدنا أن نفهم الغائب عنه، أي دلالته المجازية: فالشحم والورم لا يعنيان هنا الشحم والورم المعروفين، وهذان معنيان يعزف عنهما الشاعر ولا يريدهما. ولذا فإن(الشحم والورم)هما إشارتان حرّتان، وهما وجود معلق يعتمد على(غياب)سيتولّى القارئ إحضاره إلى البيت في كلّ مرّة يقرأ فيها هذا البيت، ويتنوع هذا الحضور ويتشكل حسب ماهية الالتقاء بين الإشارة ومفسرها، فقد يكون معنى الشحم والورم هو الهدية والرشوة، أو المحبة والنفاق، أو العلم والجهل، أو أي متضادين قد ينبثقان في ذهن القارئ لحظة احتكاكه بهاتين الإشارتين. وهذا هو معنى القراءة أو تفسير النص، أي أنها عملية إحضار للغائب، على أن هذا الغائب هو أثر النص الذي هو سبب

(١) انظر الغيث: نسيمة، البؤرة...ودوائر الاتصال، دراسة في المفاهيم النقدية وتطبيقاتها، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٣١.

(٢) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦٢.

تميّزه كأدب، وليس مجرد قول لغوي. وهذه الصلة بين الحضور والغياب هي صلة حياة ووجود في النص"[١].

ولعلّ هذا إقرار بأهمية الفهم، والتصوُّر، والتبين في التواصل مع العمل الأدبي؛ ذلك أن النص الجيد حمَّال أوجه، ولا يفضي بسره كله لقارئه، وإنْ ظَنَّ أنه قد أحاط به فهمًا، يقول عبدالقاهر: "وإنَّك لتنظر في البيت دهرًا طويلاً وتفسره، ولا ترى أنَّ فيه شيئًا لم تعلمه، ثم يبدو لك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته، مثالُ ذلك بيتُ المتنبي:

عَجَبًا لهُ حَفِظَ العِنانَ بأُنْمُلٍ ∴ ما حِفْظُها الأشياءَ مِن عاداتِها[٢]

مضى الدّهرُ الطويل ونحن نقرؤه فلا ننكِرُ منه شيئًا، ولا يقعُ لنا أن فيه خطأ، ثم بانَ بأَخَرَةٍ أنه قد أخطأ. وذلك أنه كان ينبغي أن يقولَ: (ما حِفْظُ الأشياءِ من عاداتِها)، فيضيفَ المَصدرَ إلى المفعولِ، فلا يذكرُ الفاعلَ، ذاك لأن المعنى على أنّه ينفي الحِفظَ عن أنامله جُملةٌ، وأنه يزعم أنه لا يكونُ منها أصلاً، وإضافتُه الحفظَ إلى ضميرِها في قوله: ما حفظُها الأشياءَ يقتضي أن يكون قد أثبتَ لها حِفظًا، ونظيرُ هذا أنك تقول: (ليس الخروجُ في مثلِ هذا الوقتِ من عادتي)، ولا تقولُ: (ليس خروجي في مثل هذا الوقت من عادتي). . . ولا يصحُّ قياسُ المصدر في هذا على الفعْل، أعني أنه لا ينبغي أن يُظَنَّ أنه كما يجوز أن يقالَ: (ما من عادتها أن تحفظَ الأشياء)، كذلك ينبغي أن يجوزَ: (ما مِنْ عادتها حفظُها الأشياء)، ذاك أنَّ

(١) الغذامي: عبد الله ، الخطيئة والتكفير، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية – نظرية وتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٩٨م ، ص٨٤، ٨٣.

(٢) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص١٦٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إضافةَ المصدر إلى الفاعل يقتضي وجودَه وأنه قد كان منه، يُبَيّن ذلك أنك تقول: (أمرت زيدًا بأن يخرج غدًا)، ولا تقول: (أمرته بخروجه غدًا)"[١].

وتباعًا لهذا الفهم والتصور مسَّ ابن جنّي في قراءته ديوان المتنبي الكثير من القضايا اللغوية والبلاغية التي اتخذها منفذًا لنقد الشعر وتقييمه وتبرير ظواهره، متصدّيًا لحملات كثيرة استهدفت شعريّة المتنبي ولغته التي تفتح مجال التأويل وازدحام الدلالات، مشجعًا له على التحديث في بنية النص، وفي دقة المعنى، منقِّبًا عن المعاني المقصودة من وراء البيت والبيتين، "ولعل مفهوم(شجاعة العربية)الذي خصص له ابن جني حيزًا كبيرًا في كتابه الخصائص أن يمثل الأصل الجمالي الذي يكشف عن الصفة الإبداعية الكامنة في اللغة العربية، ذلك أنها تفسح للشاعر إمكانات لغوية غنية لخلق تعبيرات فنية تتجاوز القواعد القياسية، وفي هذا تتجلى مرونتها وشجاعتها. . . بما تملكه من طاقة كامنة لإبداع علاقات لغوية تتقيد بنظام القواعد الأصلية، إنها نسق لغوي ينطوي على إمكانات جمالية. وإذ يواجه الشاعر هذا النسق، فإنه يعمد إلى الانتفاع به واستغلال إمكاناته الغنية إلى أبعد الحدود، وبالشكل الذي يضمن له الخصوصية والتفرد"[٢]. من ذلك قوله معلّقًا على أحد أبيات المتنبي الذي عدّه بعض النقاد مسروقًا، وهو قوله:

أَزُورُهُمْ وسَوادُ اللّيْلِ يَشْفَعُ لِي ∴ وَأَنْثَنِي وبَيَاضُ الصُّبْحِ يغري بي[٣]

(١) الجرجاني: عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر، ص٥٥٢، ٥٥١.
(٢) مشبال: محمد، البلاغة وحكمة اللغة، مجلة فكر ونقد(مجلة ثقافية شهرية)، النهضة ــ الرباط ــ المغرب، السنة الثانية، العدد ١٧، ١١ مارس ١٩٩٩م ، ص ٨٤ .
(٣) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص١٢٥.

حدثني المتنبي وقت القراءة عليه: قال لي ابن خنزابة وزير كافور: أعلمت أني أحضرت كتبي كلها، وجماعة من أهل الأدب يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى، فلم يظفروا بذلك؟!وكان أكثر من رأيت كُتبًا. يقول ابن جنّي: ثمّ إني عثرت بالموضع الذي أخذه منه، إذ وجدت لابن المعتز مصراعًا بلفظ لين ضعيف جدًا فيه معنى بيت المتنبي كله، على جلال لفظه وحسن تأليفه، وهو قوله: (فالشّمْسُ نَمّامَةٌ وَاللّيْلُ قَوّاد)، ولن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث: إما أن يكون قد ألمّ بهذا المصراع، فحسّنه وزيّنه وصار أولى به. وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثر ابن المعتز، فأربى عليه في جودة الأخذ. وإما أنه قد اخترع المعنى وابتدعه، فإن كان ابتدعه فناهيك به حسنًا وبالبيت صنعة وتثقيفًا(١).

بمثل هذه التعليلات كان ابن جنّي يدفع تهمة السرقة التي ألصقت بنصوصه الشعرية الكثيرة، وكثيرًا ما كان تثار بينهما مسائل اللغة، فيرتاب ابن جنّي في معنى بيت؛ نتيجة للبس وقع في اشتقاق كلمة، فكان المتنبي يقوم بدور المفصح عن أصل الكلمة، والمستشهد بالأمثلة الموضحة، فما يلبث ابن جنّي اللغوي أن يسلّمَ بسداد رأي المتنبي وبرجاحة تخريجاته؛ من ذلك ما ينقله ابن جنّي قائلاً: "سألته يومًا عن قوله:

وقَدْ صَارَتِ الأجْفانُ قُرْحًا مِنَ البُكا ∴ وصَارَ بَهارًا في الخدُودِ الشّقَائِقُ

سألته: أقرحًا أم قَرْحى؟فقال: قرحًا منوّنٌ، ثم قال: ألا ترى بعده: (بَهارًا في الخُدودِ الشَّقائقُ)؟يريد: كما أن بَهارًا جمع بهارةٍ، وهو اسم لا

(١) انظر ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر(شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي)، تحقيق رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ج١، ط١، ٢٠٠٤م ، ص٥٣٨ ، ٥٣٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وصف، فكذلك قرحًا جمع قرحةٍ. يقول ابن جني معلقًا: فعلمت بهذا ونحوه أنه متأنق في صنعة الشعر متأمل لأعطافه، غير معتمد على طبعه مجردًا من التنقيح والتهذيب(١).

وللمتنبي في نظر ابن جنّي براعة في التحكم في المعجم الشعري وتصريفه، وتحويل القصيدة من غرض إلى غرض آخر مناقض تمامًا له، فقد لاحظ في قول المتنبي لكافور الإخشيدي يمدحه:

ومَا طرَبي لما رأيتُك بدعةً ∴ لقد كنتُ أرجو أن أرَاك فأطْربُ

أنه هجاء مبطن، فحين قرأ المتنبي عليه البيت، قال ابن جنّي: أجعلت الرجل أبا زَنَّةٍ ــ كنية للقرد ــ؟ ضحك المتنبي لذلك. لأنه يطوي المديح على هجاء؛ فإن كان البيت في ظاهره مديحًا، فإنه إلى الهُزْءِ أقرب(٢). والناظر في هذا التعليق يرى أن ابن جنّي مبالغ في تخريجه هذا البيت على أنه من الهجاء المضمر أو المقلوب؛ إذ إن المتنبي لمّا أراد هجاء كافور هجاه صراحةً ولم يلجأ إلى الإضمار، كما في قصيدته التي مطلعها:

عيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ ∴ بمَا مَضَى أمْ بأمْرٍ فيكَ تجْديدُ

فقد شدّ المتنبي الرحال إلى كافور ــ بعدما غادر حلب وأميرها مكرها ــ طمعًا في ولاية يولّيها إياه، لكنّه لم ينل منه مطلبه، فهجاه وهجا مصر هجاءً مرًّا. وإنه لمن التجنّي أن نظنّ بكافور الغفلة إلى الدرجة التي لا يدرك بها ما إذا كان المتنبي مادحًا له أم مستهزئًا؛ الأمر الذي يدعونا إلى القول بأن ابن جنّي قد بالغ في إخراج كثير من مدح المتنبي كافور إلى الهجاء،

(١) انظر ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق، ج٢، ص٥٣٩.
(٢) انظر ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج١، ص٥٨٣.

وأن هذا الأمر قد يكون بإيعاز من المتنبي لابن جنّي، وذلك لما أحسّه من الخزي عندما رأى أنه قد أسف بمدح عبدٍ خصيٍّ بسبب الطمع في ولاية لم يستطع أن ينالها(١).

ولقد أسهمت قدرة ابن جنّي اللغويّة في توجيهه للمعنى الإعرابي وما يتناسب والمعنى الذي يريد المتنبي، وذلك في أسلوب يجمع بين جانبي التنظير والتطبيق، من ذلك قوله معلّقًا على قول المتنبي:

ما الخِلُّ إلاّ مَنْ أوَدُّ بِقَلْبِهِ ∴ وَأرَى بطَرْفٍ لا يَرَى بسَوَائِهِ

"فأدخل الباء على سواء، وهي لا تُستعملُ في حالِ السَّعة والاختيار إلا ظرفًا، فاضطرّ، فجعلها اسمًا، ويدُلُّكَ على كونها ظرفًا قولُهم: مررتُ بالذي سواكَ، فكونها صلةً تدلُّ على ظرفيَّتها، وشيءٌ آخر، وهو قولُ لبيدَ:

فابذلْ سوامَ القِدرِ إنّ ∴ سواءَها دُهمًا وَجُونا

فنصب(دُهمًا)و(وجُونًا)لأنَّهما اسمُ إنَّ وقدَّر الخبرَ، وهو(سواءُ)، كما تقولُ: إنَّ في الدار زيدًا، ولو لم تكن ظرفًا ما جازَ أنْ يُفْصَلَ بها بينَ: إنَّ واسمِها. . . ولذلك قال المتنبي بسوائه، ومعنى البيت: ليس لك خِلٌّ غيرُ نفسك، فلا تلتفت إلى قول أحدٍ قال: إنّني خليلٌ لك، أي قد فسد الناس"(٢).

واستدراك ابن جنّي على بيت المتنبي وقوله: (بسوائه)؛ حيث جرّ سواء بحرف الجر الباء، تنظير نحويّ في استعمال كلمة[سواء]، والتي اختلف النحاة فيها فذهب سيبويه والجمهور إلى أنها ملازمة للظرفية الدالة

(١) مندور : محمد، النقد المنهجي عند العرب: منهج البحث في الأدب واللغة، دار نهضة مصر، ١٩٩٦م ، ص٢٤٠.

(٢) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق، ج١، ص٤٣ : ٤٥ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

على البدل المكاني، وذهب الكوفيون ووافقهم ابن مالك إلى أنها تكون ظرفية أحيانا وتكون اسمًا متأثرًا بالعوامل في بعض الأحيان، وذهب الرماني والعكبري إلى أن مجيئها ظرفية أكثر، واختاره ابن هشام(١)؛ ومن ثمّ يكون الشاهد في بيت المتنبي دليلاً يستند إليه ابن جنّي في أن (سواء)تلتزم النصب على الظرفية إلا في الضرورة الشعرية.

ومن مظاهر قراءة ابن جنّي النحوية لشعر المتنبي، اهتمامه بالعلاقة الجدلية بين علم الصرف والدلالة؛ والتي تقوم على التأثر والتأثير فيما بينهما، فالأبنية الصرفية أوعية للمعاني، وأيّ تغيير في البناء الصرفي للكلمة يتبعه تغيير في المعنى؛ ولهذا فطن ابن جنّي إلى توظيف المتنبي للمصادر في الوصف بدلا من الوصف بالمشتق؛ ذلك أن العرب إنما انصرفت إلى الوصف بالمصدر لأمرين: أحدهما صناعيّ؛ الذي يزيدك أنسا بشبه المصدر للصفة التي أوقعته موقعها، كما أوقعت الصفة موقع المصدر في قولك: أقائمًا والناس قعود؛ أي تقوم قياما والناس قعود. والآخر معنوي؛ أي حين يوصف الموصوف بالمصدر يكون كأنّه مخلوق من ذلك الفعل لكثرة تعاطيه له واعتياده إيّاه(٢). وبناءً على هذه القاعدة وظّف ابن جنّي تعليقه على بيت المتنبي الذي فيه:

إلامَ طَماعِيَةُ العاذِلِ ∴ ولا رأيَ في الحُبّ للعاقِلِ

(١) الغزي: أبو البركات بدر الدين محمد بن رضي الدين، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق أحمد عنتر أمين، دار الكتب العلمية، ج١، ص٦٧٤.

(٢) انظر ابن جني: أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج٣ ، ص٢٥٩.

يعلق ابن جني: "إلامَ؟أي: إلى أي شيء؟وإلى متى؟ويُقالُ: طَمِعتُ في الشَّيءِ طَمَعًا ومَطْمَعًا وطَماعَةً وطَماعِيَةً، ومثله من المصادر ما أخبرنا به أبو بكر محمد بن الحسن، عن أحمد بن يحيى قال، يقال: اللَّقانةُ واللَّقانيةُ واللَّحانَةُ واللَّحانيةُ والتَّبانةُ والتَّبانِيَةُ والطَّبانةُ والطَّبانيةُ، وقال: معنى هذه الأحرف واحدٌ، والرَّكانةُ والرَّكانيةُ والسَّماعةُ والسَّماعِيةُ والكَراهةُ والكَراهيةُ والمَساءةُ والمَسائيةُ والنَّصاحةُ والنَّصاحيَةُ والرَّفاهَةُ والرَّفاهِيَةُ والرُّفْهِيَةُ والجَراءَةُ والجَرائِيَةُ، ويُقالُ: جاريَةٌ بَيِّنَةُ الجَراءِ والجَرَاءَةِ"(١).

وفي استعراض كل هذه المصادر إشارة إلى عبقرية المتنبّي الفذّة في توظيفه لمفردات اللغة في تركيب ذهني جديد يتعلق بتعميق النظر في دلالات النص، وذلك من خلال سياق يغاير ما عهده الشعر العربي، فقد وفّق المتنبّي حين عبّر بالمصدر(طماعية)ولم يستعمل اسم الفاعل(طامع)، فوصف طمع العاذل في رجوعه عن الهوى بالمصدر بدلا من اسم الفاعل للمبالغة في الوصف، وللدلالة على أنّه اعتاد هذا الكلام من عاذله، فهو يقابل على إصرار بإصرار؛ يصرُّ عاذله على صرفه عن الهوى ويصرُّ هو على عدم السماع له.

وربما كان هذا سببًا في جعله يذكر الرأي والرأيين حول القضية الواحدة التي يثيرها، ويسترسل في التحليل ـــ بشكل طاغٍ مفرطٍ ـــ إلى درجة تُوقع القارئ في إشكالية فهم المعنى، أو تصل به إلى حدّ الملل، من ذلك تعليقه على قول المتنبي:

سِربٌ مَحاسِنُهُ حُرِمتُ ذَواتِها ∴ داني الصِّفاتِ بَعيدُ مَوصوفاتِها

(١) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق، ج٢، ص٦٩١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ففي هذا البيت لطيفة نحويّة اختلف فيها علماء النحو، وهي أنهم أرادوا أن يصفوا بأسماء الأجناس، فلم يتيسر لهم ذلك، لأن النعت لا يكون إلا مشتقا أو مؤولا بالمشتق، فاتخذوا كلمة(ذو)وصلة وذريعة إلى الوصف باسم الجنس، والتزموا إضافتها لاسم جنس غير وصف؛ لأنه لو كان اسم الجنس وصفا لما احتيج في الوصف به إلى وصلة، ولهذا فإن(ذو)لا تضاف إلى الأعلام، ولا إلى الضمائر، ولا إلى الصفات، ولا إلى الجمل، وقد وردت إضافتها إلى العلم قليلا في نحو(أنا الله ذو بكة)ووردت إضافتها إلى الضمير شذوذًا في قول الشاعر :

إنَّمَا يَعرِفُ ذَا الفَضْلِ ∴ ذَوُوه مِنَ النَّاسِ

ووردت إضافتها إلى جملة شذوذًا أيضًا في نحو قولهم: (اذهب بذي تسلم)[1].

ولما كان هذا لحنًا لم يقع في كلام العرب إلا شذوذًا، فقد علّق ابن جنّي عليه في شرح بيت المتنبّي السابق قائلًا: " .... وفي هذا البيت شيءٌ من الإعراب لطيفُ المذهب منعَ سيبويه منه البتَّة، وهو إضافة(ذو)وأخواتها إلى المضمر، لأنّه لا يجيزُ: (هذا رجل ضربت ذاه)بمعنى صاحبه، من تبعه من صاحبه، وكذلك من تبعه من أصحابه. وقد قال هو: (ذواتها)، فأضاف(ذوات إلى الضمير)، وأجاز المُبَرِّدُ إضافةَ(ذو)ونحوه إلى المضمر، فأما قوله: (بعيد موصوفاتها)فَحَسَنٌ مستقيم، وليس مثلما أجازه سيبويه ضرورةً، وردَّه عليه أصحابه، وهو إجازته: (مررت بامرأة حسنة

(١) انظر عبدالحميد: محمد محيي الدين، عُدّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ج١، ص٤١ ، ٤٢.

وجهها)لأن الضمير من وجهها يعود على المرأة، والضمير في موصوفاتها ليس يعود على(السرب)إنما يعود على(الصفات)، فجرى ذلك مجرى قولك: (مررت برجل حسَنِ الثيابِ، طويلِ أردانها)، فعاد الضمير من(أردانها)على(الثياب)، ولو أعدتَه على الرجلِ، فقلتَ: (طويلِ أردانِه)لكان قبيحًا. . . ولم يُجزْهُ على قبحه، إلاّ في ضرورة الشعر، وقد ذهب فيه غيرُه إلى غير هذا، وليس هذا موضع شرحه"(١).

وممّا راعاه ابن جنّي في قراءته أنّه كان يذكر الخلاف في نوع الصيغة بين العلماء، ثم يبدأ بترجيح أحد الآراء بما يمتلكه من زاد لغوي يوظفه في التمييز والترجيح، ومثله في قول المتنبي:

عَجَبًا لهُ حَفِظَ العِنانَ بأَنْمُلٍ ∴ ما حِفْظُها الأشياءَ مِنْ عاداتِهَا

"أَنْمُلٌ: جمعُ أَنمُلَة، وهي طرَفُ الإصبعِ، ويُقالُ أيضًا: أنمَلَةٌ، وأنكرَ أبوحاتم: أَنمُلَةً، ولعمري، إنَّ(أَفْعُلَ)في الآحاد النَّكراتِ عزيزٌ. وقالَ سيبويه في الأَنمُلَةِ: ولا يكونُ في الأسماءِ أَفْعُلُ إلا أن يكسَّرَ عليه الواحدُ للجمع نحو أَكْلُبٍ وأَعْبُدٍ. . . وقالَ الأصمعيُّ: الأنامِلُ: منتهى المفاصل الأوائلِ مِنْ كلِّ إصبَعٍ من اليدين والرِّجلين، وقلَّما جاءَ عنهم في جمعِ أنملة: أَنْمُلٌ، [وأكثرُ ما جاءَ: أنامِلُ، إلَّا أنَّ ابنَّ الأعرابيِّ قد حكى في جمعها: أَنْمُلٌ]والقياس أيضا يشهدُ بصحّته"(٢). فبعد أن طوّف بنا حول آراء أبي حاتم، وسيبويه، والأصمعي، وابن الأعرابي، يرجّح رأي ابن الأعرابي بقوله: (والقياس أيضا

(١) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق، ج١، ص ٦٥٨ : ٦٦٠.
(٢) المصدر نفسه، والجزء نفسه ، ص ٦٧٦ ، ٦٧٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يشهدُ بصحّته)، ثم أنشد لحاجز الأزدي(الشاعر الجاهلي): " كالنِّهْيِ يَغشى طَرَفَ الأَنْمُلِ"(١).

وكلمة أَنْمُلٍ، وهي من جموع القلة، وأوزانها أربعة: أَفْعُلٌ، وأَفْعَالٌ، وأَفْعِلَةٌ، وفِعْلَةٌ، والدليل على أن هذه الجموع الستة للقلة، هو الاستقراء من خلال تفسير العدد القليل بها نحو ثلاثة أفلس، وأربعة أجمال، وخمسة أرغفة، وسبعة فتيةٍ، وسبع سنين، وتسع شجرات، فمجيء تمييزها مع الأعداد فيما بين الثلاثة إلى العشرة دليل على ذلك، وتخصيص هذه الأوزان بعدد القلة دلّ على قلة المضاف إليه. والدليل الآخر على القلة في هذه الأوزان والصيغ الست هو تصغيرها على لفظها كالمفرد، وتصغير الجمع دليل وقرينة على قلة المعدود؛ ولذا اختص التصغير بجموع القلة(٢).

ولعلنا لا نخالف الحقيقة إذا قلنا أنّ ابن جنّي كان له السبق في ربط التنويع الدلالي بالحركة الإعرابية، حيث المعاني المتناوبة على المفردات الواردة في أبيات المتنبي، والتي لولا الحركات لما فُهمت، من ذلك تعليقه على قول المتنبي:

فَتَبِيتُ تُسنِدُ مُسنِدًا في نِيِّها ∴ إِسْآدَها في المَهْمَهِ الإنضاءُ

بقوله: "ونصبَ(مسئدًا)على الحال منها، و(الإنضاءُ)مرفوعٌ بـ(مسئدٍ)، والعائدُ عليها من هذه الحال (الهاءُ)في(نَيّها)و(إِسآدُها)منصوبٌ على المصدر، والناصبُ له(مسئدًا)لا(يُسئِدُ)، وتقديره ومعناه: فتبيتُ هذه الناقة

(١)انظر المصدر نفسه، والجزء نفسه ، ص٦٧٧.
(٢)انظر هيئة علماء المسلمين في العراق، دقائق علمية: الأدلة على جموع القلة في العربية،متاح على m.iraq-amsi.net

تسئدُ مسئدًا (الإنضاءُ) في نَيِّها إسآدًا مثل إسآدها هي في المهمهَ: ونظير هذا: (تبيت هندُ تُصلِّي مصلِّيًا عمروُ في دارها صلاتَها في المسجدِ)أي: تبيتُ تُصلِّي على هذه الحال. فـ(تسئدُ): فعلُ(الإنضاء)، وجرى حالاً على النَّاقة لما تعلق به من ضميرها الذي في(نَيِّها)كما تقول: مررت بهند واقفًا عندها عمرو"[١].

فمدلول تعليق ابن جني أن الحركات الإعرابية هي المفتاح لفهم المعنى المراد؛ فكلمة(مسئدًا) جاءت منصوبة على الحال، فجمعت بين العلامة الإعرابية(النصب)، والتي تدل في معناها اللغوي على المعاناة والتعب، وبين الوظيفة النحوية(الحال)، والتي مدار المعنى في البيت عليها؛ حيث يريد الشاعر بقوله: (فَتَبِيتُ تُسئِدُ مُسئِدًا)، أنّ هذه الناقة تُسرع السَّير كما يُسرعُ تعبُها بقطع هذه الأرض البعيدة، السَّير في شحمها، (أي يُهزلُها الإنضاءُ لشدَّة السَّير، ويسرع في شحمها)، كما تسرع هي في قطع هذه الأرض، أي كلما قطعت الأرض قطعت الأرض شحمها على احتذاء[٢].

وربما ألجأه هذا إلى كثرة الاستشهاد بالشعر دعمًا لرأيه اللغويّ، فقد استشهد على شرحه بقول كثيّر، ولبيد، ورؤبة، وغيرهم: قال كُثيّر(من الطويل):

أضَرَّ بها عِلْقُ السُّرى كلَّ ليلةٍ ∴ إليك وإسآدي ضُحَى كُلِّ صيهبِ

قال لبيدُ(من الرمل):

يُسئِدُ السَّيرَ عليها راكبٌ ∴ رابطُ الجأشِ على كُلِّ وَجَلْ

(١) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق، ج١، ص٨٧.
(٢) انظر ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق، ج١، ص٨٤ : ٨٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

و(النِّيُّ) الشحم. يقال: نوت الناقة تنوي نَوايةً ونِوايةً، وهي نيِّئةٌ. النِّيُّ والنَّوا، وناقةٌ ناويةٌ. أنشدنا أبو علي(المثقّب العبدي)(من السريع):

يُنْبِي تَجاليدِي وأَقْتادَها ∴ ناوٍ كرأْسِ الفَدَنِ المُؤْيَدِ

و(المَهْمَهِ)الأرض البعيدة الواسعة كالبيداء. قال "العجاج"(من الرجز): (ومَهمَهٍ هالكِ مَنْ تعرجا) أي: "مُهلكٌ". وقال"رُؤبةُ"(من الرجز):

وَمَخْفِقٍ مِنْ لُهْلُهٍ وَلُهْلُهِ ∴ وَمَهْمَهٍ أَطْرافُهُ فِي مَهْمَهِ

و(الإنضاء) مصدر "أنضاه" "يُنضيه" "إنضاءٌ" إذا هزله وأذابه. وناقةٌ "نِضوٌ" و"نِضوةٌ" أي: هزيلةٌ[١].

ولا يفوت ابن جنّي في قراءته لديوان المتنبيأن يعتمد على آيات القرآن الكريم أو نصوص الأحاديث النبوية في إزالة الغموض عن معاني بعض ألفاظ المتنبي، أو تبرير استعماله لكلمات أعجمية غير شائعة عند العرب؛ فمن اعتماده على النص القرآني شرحه كلمة(المشْخَلب) في بيت المتنبي:

بَياضُ وَجهٍ يُرِيكَ الشَمسَ حالِكَةً ∴ وَدُرُّ لَفظٍ يُرِيكَ الدُرَّ مَشْخَلَبا

فيقول: " ... و(المشْخَلَبُ): هذا الخرزُ المعروفُ، وليست عربيةً ولا فصيحةً، فاستعملها على ما جرت به عادة الاستعمال، وقد فعلت هذا العرب فجاءت بغير لغتها إتْبَاعًا للعادة. . . وكذلك(القسطاس)عندهم روميٌّ، وقال تعالى: ﴿وَزِنُوا بالقِسْطاس المُسْتَقِيمِ﴾(*)، وكذلك (الإبريق)عندهم عجميٌّ، وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ*بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾(*)"[٢].

(١) انظر ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق، ج١، ص٨٤ : ٨٧.
(*) الشعراء / ١٨٢ .
(*) الواقعة/ ١٧ – ١٨ .
(٢)ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧٩ ، ٣٨٠.

لعلّ ابن جنّي يقصد من هذه الاستشهادات الإقرار بأن ظاهرة التعريب في كلام العرب أمرٌ ثابتٌ، وضرورة من ضروريات حياة اللغة العربية نفسها، وأن التعريب ليس أخذًا للكلمة من اللغات الأخرى كما هي ووضعها في اللغة العربية، بل التعريب هو: أن تصاغ اللفظة الأعجمية بالوزن العربي، فتصبح عربية بعد وضعها على وزان الألفاظ العربية، وإذا لم توافق أي وزن من أوزان العرب، تُعدّل بزيادة حرف، أو بنقصان حرف أو حروف، وتُصاغ على الوزن العربي، فتصبح على وزان تفعيلاته، وحينئذ تصير اللفظة المعرَّبة عربيَّة كاللفظة التي وضعتها العرب(١).

ومن اعتماده على النص النبويّ شرحه كلمة(أفلاذ)في قول المتنبي:

غادَرتَ أَوجُهَهُم بِحَيثُ لَقِيتَهُم ∴ أَقفائَهُم وَكُبودَهُم أَفلاذا

بقوله: "(الأفلاذُ): جمعُ فِلْذٍ، وهي القطعة من الكبد. . . وىقال: كبدٌ أفلاذٌ، أي: مُقطَّعةٌ، وقال رسول الله صلى الله علىه وسلم، ىوم بدرٍ: (هذه مكةُ قد ألقت أفلاذَ كبدِها)، ىعني رجال قرىشٍ. ومعنى البيت: إنك قطّعتها بالضرب والطعن، حتى لم تكن تفصل وجوههم من أقفائهم"(٢). وكذلك أيضًا في تعلىقه على قول المتنبي:

أَعاذَكَ اللَهُ مِن سِهامِهِم ∴ وَمُخطِئٌ مَن رَمِيُّهُ القَمَرُ

بقوله: "يقال: بئست الرَّميَّةُ الأرنبُ، أي: بئسَ الشَّيءُ ممَّا يُرمَى الأرنبُ. وفي الحديث: (يَمرُقونَ من الدِّينِ كما يَمرُقُ السَّهمُ من الرَّميَة)، أي: من الشَّيءِ الذي من عادته أن يُرمَى. ومعنى البيت: إنه من رمى القمرَ أخطأهُ، فكذلك أنت لا تصل إليك سهامُ أعدائك لامتناعك وعلو شأنك"(٣).

(١) انظر الألفاظ الأعجمية في القرآن، www.islamweb.net ، بتاريخ ١٠/١٠/ ٢٠١٦م.
(٢) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق، ج٢ ، ص١٢.
(٣) المصدر نفسه، والجزء نفسه، ص٣٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومما اعتنى ابن جنّي بإظهاره عند القراءة، هو اقتران الظواهر اللغوية ــ سابقة الذكر ــ بالجانب البلاغي، والذي يفيد أن المتنبي يسبغ كلامه بما يجعله يؤدي أغراضًا زائدة على الغرض الأساس المتمثل في التوصيل، ومن ثمّ يخلق نشاطًا ذهنيًّا عند المتلقي لإدراك صياغة مغايرة ذات فنيات أصيلة، وذلك بالعدول عن الأصل، أو بتبديل مواقع الكلمات؛ ذلك أن الجملة العربية لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها، رغم أن النحو قد حفظ رتبًا لهذه الأجزاء، والعدول عن هذه الرتب يمثل نوعًا من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية(١).

ولهذا نرى في تعليلات ابن جنّي وتأويلاته للغة المتنبّي خطوةً نحو استجلاء خصائص البلاغة في التعبير الجمالي لبعض الظواهر البلاغية التي يتكئ عليها المتنبي في نصوصه ليؤكد المعنى عند المتلقي؛ ومن تلك الظواهر الحذف، والاستعارة، والتشبيه، والكناية؛ أما الحذف ففي قوله معلقًا على بيت المتنبي:

تَوَقَّهُ فَإذا ما شِئْتَ تَبْلُوَهُ ∴ فَكُنْ مُعادِيَهُ أَوكُنْ لَهُ نَشَبا

"نصبَ(تبلوَه) " بأن " مضمرةً، والتَّقديرُ: أنْ تبلوَه، فحذفها بعدَ أنْ قدَّرها ظاهرةً، وبقيَ عملُها بحاله. . . والعربُ قد حذفتْ بعضَ الكَلمِ ضرورةً وعِلمًا بما تعني، فحذْفُ(أن)معْ صِلتِها[أيضًا] ليس بخطأ. . . فكذلكَ بيتُ المتنبِّي ظاهرُ لفظهِ يقتضي"أنْ"، كأنَّه قالَ: "متى"(متى شئتَ أنْ تبْلوَهُ)"(٢). لكنّ شعريّة تلك الصياغة لا تكمن في مجرد العدول عن الذكر إلى الحذف

(١) عبدالمطلب: محمد، البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص٣٢٩.
(٢) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق، ج١، ص٣٨٥ : ٣٨٧.

فحسب، وإنما في تحولات الدلالة داخل نسيج النص، واحتماله وجهًا آخر من المعنى، فمقام الحذف هنا يلفت انتباه المتلقي إلى الطلب الذي في بداية البيت(توقّ)؛ فالمتنبي يحذّر صاحبه من أن يحومَ حول ممدوحه بالمعاداة، ومن ثمّ فإن هذا الطلب أتاح لابن جنّي أن يتدخل مباشرة بإحضار دلالة التقدير والتعظيم للممدوح، اعتمادًا على المقام وقرائنه الإشارية؛ فيعلق قائلاً: "يقولُ لصاحبِه: (توَقَّ هذا الممدوحَ، فإنْ لم تَثِقْ بهذا القول منِّي وأردتَ اختبارَهُ، فكنْ عَدُوًّا له أو مالًا له[على المجاز]، فسترى ما يفعلُ بكَ منَ الإبادةِ والإفناءِ، إذ منْ عادتهِ إهلاكُ أعدائهِ، وتفريقُ مالهِ"(١).

وأما الاستعارة، ففي قول المتنبي:

فَالسِّلمُ يَكسِرُ مِن جَناحَي مالِهِ ∴ بِنَوالِهِ ما تَجبُرُ الهَيجاءُ

يقول ابن جنّي: "جعل لماله جناحين استعارةً. يقول: إذا غزا أعداءَه، فأخذ أموالَهم، وعادَ، واستقرَّت به الدار أتاه العفاة فسألوه، فأعطاهم في السلم ما أخذه في الحرب"(٢). إن حركة المعنى عند ابن جنّي متفجرة من غياب الطرف الثاني، وهو الطائر(المستعار منه)من التركيب، وحضور الطرف الأول، وهو المال (المستعار له)؛ الأمر الذي استدعى فاعليته بوصفه متلقيًا على مستويين؛ مستوى الغياب الذي يشغله بالبحث عنه، ومستوى الحضور الكنائي أو التقديري، وقد أطلق البلاغيون على هذه الصورة (الاستعارة المكنية) لأنها ترتبط بمضمون الإنتاج الكنائي، من حيث

(١) المصدر نفسه، والجزء نفسه، ص ٣٨٨.

(٢) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق، ج١، ص١٠٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التعامل مع الدال، ثم إهماله باعتماد لوازمه[١]. أما من جهة البنيـــة، فـــإن حركة المعنى متفجرة من امتداد بنية الاستعارة تجاه المستعار منـــه ســـواء أكان حاضرًا أم غائبًا، وذلك بإضافة بعض متعلقاته؛ تأكيدًا لمهمته في إنتاج المعنى ففي البيت قرائن لغوية تحول دون ذهاب عقل ابن جنّي إلى تصـــور المعنى الحقيقي.

وتزداد بلاغة الاستعارة صعودًا عند ابن جنّي بالاعتماد على المبالغـــة والمشابهة بوصفهما من مقاييس الجمال فيها، فالاستعارة. . . موضـــوعها على أنك تثبت بها معنى لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ، ولكنه يعرفه من معنى اللفظ"[٢]، ففي قول المتنبي:

فَتىً يَملَأُ الأَفعالَ رَأيًا وَحِكمَةً ∴ وَبادِرَةً أَحيانَ يَرضى وَيَغضَبُ

علّق ابن جني قائلاً: قوله(يملأ الأفعال)استعارة، وفيها مبالغة، ولا تقع الاستعارة إلا للمبالغة، ولولا ذلك لكانت الحقيقة لا يجـــوز غيرهـــا .... أي: فهو على كلِّ حالٍ واصلٌ رضي أو غضب"[٣].

وكذلك في تعليقه على قول المتنبي:

وَكُنتَ لَهُ لَيثَ العَرينِ لِشِبلِهِ ∴ وَما لَكَ إِلّا الهِندُوانِيَّ مِخلَبُ

يقول: "الهُندوانيُّ: السَّيفُ الهنديُّ، وهو المُهنّدُ أيضًا ... وجعل السيف مِخْلَبًا له استعارة وتشبيهًا لمّا شبَّهه بالأسد"[٤]. يراد المبالغة فـــي وصـــفه

(١) ويلزم على مذهب(الخطيب)أنه لا وجه لتسـميتها اسـتعارة، لأن الاسـتعارة هـي اللفـظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، أو استعمال اللفظ المذكور، والتشبيه غيـر ذلك: بل هو فعل من أفعال النفس.

(٢) الجرجاني: عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، مصدر سابق، ص ٤٣١ .

(٣) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج١، ص٥٧٢.

(٤) المصدر نفسه، والجزء نفسه، ص٥٧٩.

بالشجاعة وأنه قوي القلب، شديد البطش، وأن أظفاره ماضية كالسيف حين ينشبها في عدوّه، فهي لا تختلف عن مخالب الأسد أو الجوارح من الطير.

وأما التشبيه فبحكم طبيعته المرنة يعدّ معرضًا واسعًا للابتكار والإبداع، ومن التشبيهات التي عدَّها ابن جنّي منَ المبتكر التشبيه البليغ، الذي يعتمد على المبالغة والإغراق في ادّعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه، لذلك لا تذكر فيه أداة التشبيه، ولا وجه الشبه؛ من ذلك قول المتنبي:

لَو مَرَّ يَركُضُ في سُطورِ كِتابَةٍ ∴ أَحصى بِحافِرِ مُهرِهِ ميماتِها

يقول ابن جنّي: "يصفه بالفروسيّة، وأنّ فرسَه يُطاوعُه على ما كلّفه لمهارتِه ودُرْبتِه، وخصّ الميماتِ دون العَيناتِ، والفاءاتِ، والقافاتِ، ونحو ذلك ممّا ليس له شكلٌ إلى التّدويرِ، لأن (الميمَ) أشبهُ بالحافرِ من جميع حروفِ المعجمِ، فَذِكْرُه (الميم) دون غيرها تشبيه جاء معترضًا، وأحسنُ ما جاء التّشبيهُ كذلك إذا كانَ بغيرِ أداةِ التّشبيهِ، بل يهجمُ على السّمعِ من غيرِ توقُّعٍ له"[(١)]. وهذا النوع من التشبيه هو أرقى أنواع التشبيه بلاغة؛ ذلك أنه يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر، ولأنه مبنيٌّ على ادّعاءِ أنَّ المشبَّهَ والمشبَّهَ به شيءٌ واحدٌ.

ومن التشبيهات التي استملحها ابن جنّي ما جاء في قول المتنبي:

نَحنُ رَكْبٌ مِلْجِنٍّ في زِيِّ ناسٍ ∴ فَوقَ طَيرٍ لَها شُخُوصُ الجِمالِ

يقول ابن جنّي: "فجعل كونهم جنًّا أصلا، وجعل كونهم ناسًا فرعًا، وجعل كون مطاياه طيرًا أصلًا وكونها جمالا فرعًا، فشبه الحقيقة بالمجاز في

(١) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج١، ص٦٧٧ ، ٦٧٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة"[١]. وهذا النوع من التشبيه هو التشبيه المقلوب أو المعكوس، ويدل هذا على أن وجود وجه الشبه في المشبّه أقوى وأظهر من وجوده في المشبه به؛ ومن ثمّ "يوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر، ويفيدُكها من غير أن يظهر ادّعاؤه لها، لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه. . . والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد، كان لها ضرب من السرور خاص، وحدث بها من الفرح عجيب"[٢].

وأما الكناية، ففي تعليقه على قول المتنبي:

وَبِمسكٍ يُكنَى بِهِ لَيسَ بِالمِسـ ∴ ـكِ وَلَكِنَّهُ أَريجُ الثَّناءِ

الذي فيه "ليس المسكُ الذي يُكنَى به هذا(المسكَ)المعروفَ، وإنّما هو كنايةٌ عن طِيبِ ذِكرِه"[٣]؛ ما يشير إلى أن الكناية في بيت المتنبي ذات بنية ثنائية الإنتاج؛ إنتاج صياغي(بمسك يكنى، وهو الطيب وأريجه)يتجاوزه الذهن إلى إنتاج آخر دلالي يوازيه(طيب الثناء والذكر الحسن)، فإذا لم يتحقق هذا التجاوز، فإن المنتج الصياغي يظل في دائرة الحقيقة، مع الاحتفاظ للمنتج الموازي بحق الحضور التقديري، لأن في تغييبه انتقال من بنية الكناية إلى بنية المجاز، وهو ما يؤكد وقوع الكناية في منطقة وسطى بين طرفي الحقيقة والمجاز، فلا يمكن الميل بها إلى أحدهما، لأن اللفظ قد أنتجهما معًا[٤].

---

(١) ابن جني: الخصائص، مصدر سابق، ج١، ص٣٠٢.وانظر ابن جني: الفسر، مصدر سابق، ج٣ ، ص١٠١.
(٢) الجرجاني : عبد القاهر، أسرار البلاغة، مصدر سابق، ص٢٢٣ ، ٢٢٤.
(٣) ابن جني: الفسر، مصدر سابق، ج١، ص١٣٤.
(٤) انظر السكاكي: أبويعقوب، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص٥١٢، ٥١٣.وكذلك عبد المطلب: محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص١٨٦، ١٨٧.

وأما التعريض فهو أحد مستويات إدراك المتلقي للمعنى الكنائي، من ذلك تعليق ابن جنّي على بيت المتنبي:

إلى الَّذي تَهَبُ الدَولاتِ راحَتُهُ ∴ وَلا يَمُنُّ عَلى آثارِ مَوهوبِ

"ظاهر هذا البيت مدح، وفيه تعريض بسيف الدولة"(١)؛ فالتعريض هنا يعتمد على حركة ابن جنّي الذهنية، وقدرتها على تجاوز المستوى السطحي المباشر للمعنى، وهو مدح كافور الذي عمّت الأرض بمواهبه، ولا يمُنّ مع ذلك بعظيم ما يفعله، ثم استنطاقه بدلالة أخرى بديلة تقصُر مفردات العبارة عن إنتاجِها، وهي تقصير سيف الدولة عن كافور، وأنه كان يمُنّ على الشاعر بما يصل منه إليه، وهذه الدلالة إنما أنتجها ابن جنّي بوصفه متلقيًا، وذلك "بالتعامل مع فضاء الصياغة وما يحتويه من إشارات دلالية"(٢)، لكنّ ذلك لا ينفي حضور قصد المتنبي، والذي بدونه قد تتحول الصياغة بنواتجها إلى حقيقة مباشرة.

ومما يحسب لابن جنّي أنه رغم إجلاله المتنبي ودفاعه عنه، فإنّ ذلك لم يمنعه من انتقاده والتنبيه إلى ما أخطأ فيه من تصنع وتكلف، أو تعسّف في تركيب جملِه؛ فمما أخذه عليه في التصنّع والتكلّف قوله:

سُقِيَتْ مَنابِتُها الَّتي سَقَتِ الوَرى ∴ بِيَدَي أَبي أَيّوبَ خَيرِ نَباتِها

يقول معلقًا: "و(الهاء)في(نباتها)تعود على(المنابت)فجعل(النبات)هو الذي يَسقْي(المَنْبِتَ)، قلبًا للعادة، وإغرابًا في القول، وتغلغلاً في الصنعة"(٣). ومما أخذه عليه في التعسُّف قوله:

(١) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج١، ص٥٥٦.
(٢)عبد المطلب: محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق ، ص١٩٣، ١٩٤.
(٣) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج١، ص٦٧٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أَنّى يَكونُ أَبا البَرِيَّةِ آدَمٌ ∴ وَأَبوكَ وَالثَّقلانِ أَنتَ مُحَمَّدُ

وقد علّق عليه قائلاً: " في إعراب هذا البيت تعسُّفٌ، وتقديره: كيف يكونُ آدمُ أبا البريّة، وأبوك محمدٌ وأنت الثقلان، ففصل بين المبتدأ الذي هو(أبوك) وبين الخبر الذي هو(محمدٌ)بالجملة التي هي قوله: (والثقلان أنتَ)، وهي أجنبيّةٌ"(١).

إن ما يرمي إليه ابن جنّي فيما أخذه على المتنبي يُعدّ من أبرز القضايا التي شغلت النقاد، وهو الحديث عن الطبع والصنعة، فهم يستحسنون ما جاء عن خليقة وسجيّة، ويستقبحون ما يخرج عن المألوف الصحيح إلى الغث المستكره؛ حيث التكلف في الإبداع والتصنع في اختيار الألفاظ والمعاني، وعدم التوافق بين حالات النفس ومعانيها الخاصة. وملاحقة المعاظلات وحوشي الكلام؛ الأمر الذي جعل كثيرًا من المعاني لا يعرف ولا يعلم الغرض فيها إلا بعد الكدّ والفكر وطول التأمل، أو لا يعرف إلا بالظن والحدس(٢).

وإلى جانب ابن جنّي نجد أبا العلاء المعرّي صاحب منهجٍ في القراءة والشرح يستند على فهمه لطبيعة الشعر ومعرفته الواسعة بمذاهب الشعراء، وطرائقهم الشعرية المختلفة، وبكلام العرب وغريبه؛ الأمر الذي يبدو واضحًا في اللامع العزيزي عن غيره من مصنفاته، حيث الاهتمام بذكر الوزن العروضيّ للقصيدة، وتحديد قافية البيت وعروضه وضربه، فيما يمكن

(١) المصدر نفسه ، والجزء نفسه ، ص٩١٤.

(٢) انظر الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٤ ، ج٢، ص١٣٩.

أن نسميه القراءة العروضية لأبيات المتنبي؛ من مثل تعليقه على قول المتنبي:

أتُنْكِرُ يابنَ إسْحَاقٍ إخائي ∴ وتَحْسَبُ ماءَ غَيرِي من إنائِي

"وهي من الوافر الأول على رأي الخليل، ومن السَّحل الرابع في قول غيره، وقافيتها من المتواتر"(١).

وأحيانًا يضمّن قراءته العروضية شيئًا من النقد، لافتًا الانتباه إلى ما وقع فيه صاحبه من زحافٍ، كما في تعليقه على قول المتنبي:

رُبَّ نَجِيعٍ بسَيفِ الدَّوْلَةِ انْسَفَكا ∴ وَرُبَّ قافِيَةٍ غَاظَتْ بِهِ مَلِكَا

"وهي من البسيط الأول. ولم يزاحف أبو الطيب زحافًا تنكره الغريزة إلا في هذا الموضع، ولا ريب أنه قاله على البَدِيهِ، ولو أن لي حكمًا في البيت لجعلت أوله: كم من نجيع؛ لأن رُبَّ تدل على القلة، وإنما يجب أن يصف كثرة سفكه دماء الأعداء، ويُحَسِّنُ ذلك أنَّ رُبَّ جاءت في النصف الثاني، وهي ضدُّ كَمْ"(٢).

وتظهر لنا قراءة المعرّي العروضية لأبيات المتنبي كَلَفَه بفن العروض، كاشفة عن سعة علمه وغزارة ثقافته التي لا تعرف التردد في إصدار الأحكام؛ من ذلك تخطئته للمتنبي في قوله:

وَلا شُغِلَ الأَميرُ عَنِ المَعالي ∴ وَلا عَن حَقِّ خالِقِهِ بِكاسِ

(١) المعري: أبو العلاء أحمد بن عبدالله، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تحقيق محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠٠٨م، ج١، ص٢١.
(٢)المصدر نفسه، ج٢، ص٨٥١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"الكأسُ، وما كان مثلها من الثلاثي، الذي وسطُهُ همزةٌ تكون له ثلاثةُ أحوالٍ في القريض إذا جاءت في حشو البيت؛ فالمنشدُ مخيَّرٌ: إن شاء همَز، وإن شاء جعل الهمزة ألفًا، كقول القائل: [الوافر]

تَصُدُّ الكَاسَ عَنّا أُمُّ عَمْرٍو ∴ وَكَانَ الكَاسُ مَجْرَاهَا اليَمِيْنَا

وإذاجاءت في القافية مع حروفٍ ليست ذات لينٍ فالهمزُ واجبٌ، ومن تَركَهُ فقد أساء، كقول الراجز:

قَدْ خَطَبَ النَّومُ إلىَّ نَفْسِي ∴ هَمْسًا وأخْفَى مِنْ مَقَالِ الهَمْسِ [الرجز]

ومَا بأنْ أطْلُبَهُ مِنْ بَأْسِ

فإن لم يُهمَزْ بأسٌ في هذا الموضع؛ وإلا فهو عَيبٌ لم تجر العادةُ بمثله، وإذا شُبِّهَ بعيوبِ الشعر حسب من السّناد، إلا أنّ العرب ساندت في الواو والياء إذا كانتا ردْفين، ولم يُساندوا بالألف، لم يجيئوا مع جَلْسٍ وحِلْسٍ بمثل ناسٍ، وجاؤوا مع نفسٍ وخمسٍ بقوسٍ، ويجوز عندهم أن يأتوا مع خمرٍ وأمرٍ بمثل سيرٍ إلا أنه عيبٌ. وإذا كانت كأسٌ ونظائرُها مع حروف لين مثل ناسٍ وقاسٍ فهمزُها خطأٌ، وذلك في مثلِ بيتِ أبي الطيب"(١).

ومما اشتملت عليه قراءة المعرّي لديوان المتنبي إلى جانب القراءة العروضية، القراءة اللغوية؛ فهو يشرح مفردات اللغة في كلِّ بيت، ويستقصي معاني الألفاظ ودقائقها، ويذكر المعنى السياقي لها، ويحتجّ بالشعر، ويستشهد بالقرآن الكريم؛ من ذلك شرحه قول المتنبي:

(١)المعري: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٥٩٨ ، ٥٩٩.

ما الدّهرُ عندكَ إلاّ رَوْضَةٌ أُنُفٌ ∴ يا مَنْ شَمَائِلُهُ في دَهْرِهِ زَهَرُ

يقول: "الروضة: يقال: إنها تكون في السهل، هكذا يقول بعض الناس، فأما الشعراء فقد نسبوها إلى الحزن، قال الأعشى: [البسيط]

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ∴ خَضرَاءُ جادَ عَلَيها مُسْبِلٌ هَطِلُ

وقال كثير: [الطويل]

فَمَا رَوْضَةٌ بِالحَزْنِ طَيّبَةَ الثّرَى ∴ يَمُجُّ النّدَى جَثْجَاثُهَا وَعَرَارُهَا

ويزعمون أن الحزن الذي يذكره الشعراء هو موضع بعينه بنجدٍ. ويذكرون أن الروضة إذا كانت على مرتفعٍ من الأرض قيل لها: ترعة. ويقال: روض المكان ترويضًا، واستراض: إذا صارت فيه روضة. والأنف: التي لم ترع، فالذي يرعيها ماله كأنه يستأنفها؛ أي: يأخذ أولها؛ لأنها مأخوذة من الأنف. ويقال: شراب أنف؛ أي: مستأنف قد بدئ بشربه، وكأس أنف. قال امرؤ القيس:

أُنُفٍ كَلَونِ دَمِ الغَزالِ مُعَتّقٍ ∴ مِن خَمرِ عانَةَ أَو كُرومِ شَبامِ

ويروى: سنام ... والشمائل تستعمل في الخلق والخلق، يقال: هو حسن الشمائل؛ أي: الأخلاق والخلق، قال امرؤ القيس: [الطويل]

وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلاً ∴ ومِن خَالِهِ ومِن يزيدَ ومِن حُجُرْ

ويقال لواحد الشمائل: شمال، والنحويون يرون أن شمالًا تكون واحدًا وجمعًا؛ لأن فعيلًا وفعالًا أخوان، فلما كانوا يقولون: كريم وكرام، وظريف وظراف، أجروا فعالًا إذا كان واحدًا مجرى فعيلٍ في الجمع، ومثله قولهم: دلاص للدرع الواحدة والجميع. وذهب سعيد بن مسعدة إلى أن قوله تعالى:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(*)جمع يجعله من باب دِلاصٍ وشمالٍ. فأما كون الشمال في معنى الخليقة، فمنه قول السلمي: [الطويل]

أَبَى الشَّتْمَ أَنّي قد أَصابُوا كَرِيْمَتِي ∴ وأَنْ لَيْسَ إِهْداءُ الخَنَا من شِمالِيَا

وقالوا: رجل مشمول الخلائق؛ أي: مبارك ميمون، ومشمول الخليقة؛ أي: مشؤوم، وذكره ابن السكيت في الأضداد(١).

ومن يصافح قراءة المعرّي في كتابه اللامع يجد فيها براعة فائقة في إلمامه بجوامع اللغة؛ حيث الظواهر الصوتية، والصرفية، والنحوية، والبلاغية؛ فمن الظواهر الصوتية تعليقه على بيت المتنبي:

لَقَد كُنتُ أَنفيْ الغَدرَ عَن تُوسِ طَيِّئٍ ∴ فَلا تَعْذُلاني رُبَّ صِدقٍ مُكَذَّبِ

"يقال: فلانٌ من تُوس صِدقٍ، وسُوسِ صدقٍ؛ أي: من أصْلِه ومَعْدِنِه"(٢).

وهنا يلفت المعرّي انتباهنا إلى ظاهرة صوتية صرفية، وهي إبدال السين تاءً والمسوغ الصوتي لإبدال السين تاء، هو أن كلا الصوتين مهموسان كما أنّهما يكادان أن يكونا متماثلين في المخرج، وهذا الإبدال شائع في لهجة اليمن، فيقولون(النات)في(الناس)، و(لبات)في(لا باس)، وأَنشد لِعلْباء بن أَرقم من [الرجز]:

يا قَبَّحَ اللهُ بَني السِّعْلاتِ ∴ عَمْرَو بنَ يَرْبوعٍ شِرارَ الناتِ

لَيْسُوا أَعِفّاءَ ولا أَكْياتِ

يريد الناسَ والأَكْياسَ(٣).

(*) الفرقان / ٧٤ .
(١) المعري: أبوالعلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص٤٨٥ : ٤٨٧.
(٢) المعري: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق ، ج١، ص٢١٠.
(٣) انظر ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، ص٤١٠.وكذلك أنيس : إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩٢م، ص ١٠٥.

ويسترسل المعرّي في قراءته الصوتية شارحًا ظاهرة أخرى من الظواهر الصوتية التي اشتهرت بها بعض قبائل العرب، وهي تخفيف الهمزة، فمن تعليقه على هذه الظاهرة قوله في شرح بيت المتنبي السابق: "وطيِّئٌ أكثر ما يستعمل بالهمز، وربما قالوا: طيٌّ بغير همزة. وحكي عن ابن الكلبي أنه قال: إنما سمي طيِّئًا لأنه أول من طوى المناهل، يعني طيَّ البئر التي تعرفه العامة، ونسب هذا البيت إليه، وهو قوله: [الوافر]

فَإنّ المَاءَ ماءُ أَبي وَجَدِّي ∴ وَبِئْري ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ

وهذا البيت يوجد في الحماسة منسوبًا إلى رجل يقال له: سنان، وإذا صح هذا القول فالهمز في طيئٍ غير أصلي، وإنما يجري مجرى قولهم: حَلأْتُ السَّوِيقَ، والأصل من الحلاوة ونَشِئْتُ الرائحة، وإنما هو من النَّشوَةِ، وهي الرائحة الطيبة. وقال بعض الناس: طيِّئٌ مأخوذ من قولهم: طاء في الأرض إذا ذهب فيها. فإذا أخذ بهذا القول فالهمزة في طَيِّئ أصلية"(١).

ويصل المعرّي قمة الإجادة والوعي حين يربط بين البعد الصوتي للحركة وأثره الدلالي؛ ذلك أن البنية الدلالية للكلمة قد تختلف باختلاف الحركة، من ذلك قول المتنبي:

عَذلُ العَواذِلِ حَولَ قَلبِ التائِهِ ∴ وَهَوى الأَحِبّةِ مِنهُ في سَوداءِهِ

"يقال: عَذْل وعَذَل، والتحريك في هذا الموضوع أحسنُ؛ لأنه أقوى في السمع والغريزة، فيقال: عذلت فلانًا فاعتذل؛ أي: لام نفسه ورجع"(٢)؛ ومن ثم فإن السكون تفيد أن الشاعر نزل على رأي عاذله في لومه له ورجع عن

(١) المعري: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص٢١٠ ، ٢١١.
(٢) المصدر نفسه والجزء نفسه، ص٢٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حبّه، أما الحركة فتفيد غير ذلك؛ إذ إنها تشير إلى عدم التفات الشاعر إلى لوم عذّاله، بل إن لومهم نفسه لن يستطيع أن يصل إلى قلبه من شدة حرارة الشوق.

وقد كان للتصريف والنحو حظٌّ مع المعرّي، فقد ضمّن في ثنايا شرحه بعض مسائلهما، وأشار إلى أثرهما في إنتاج المعنى، من ذلك حديثه عن الفرق بين فعل التفضيل وفعل التعجب؛ ذلك أن دلالة الأول تختلف عن دلالة الثاني، يقول معلّقًا على بيت المتنبي:

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِ ∴ وَأَقْتَلَهُمْ لِلدّارِعِينَ بِلَا حَرْبِ.

"أفعل إذا كان للتفضيل فبينه وبين أفعل الذي للتعجب مناسبةً؛ وذلك أنه يقال: هذا أقول منه، وما أقولَه، فتصح الواو في المثالين. وتمتنع أن يقال: هذا أحمر من هذا؛ أي: أشد حُمْرةً، كما يمتنع أن يقال: ما أحمرةُ أي: ما أشد حُمْرتَه. وفعل التعجب يبنى من الأفعال الثلاثية، وهي ثلاثة أبنية، وهي: فَعِلَ وفَعَلَ وفَعُلَ، ولا يبنى إلا من فعلٍ قد سمي فاعله، ولا يجوز أن يبنى من فعلٍ فاعله غير مُسمّى، فيقال: ما أضْرَبَ أخاك؛ لأن هذا اللفظ مأخوذ من قولهم: ضُرب أخوك، ثم وقع التعجب من كثرة ضربه أو شدته. فإذا قلت: ضُربَ أخوك لم يحسن أن تقول: ما أضربَ أخاك، وأنت تريد ما أشدَّ الضرب الذي ضربه"(١).

وكلام المعرّي هنا عن ما يُشْتَرَطُ في الفعل، لتُبنى منه صيغتا التعجب والتفضيل؛ وهي: أن يكونَ فعلاً ماضيًا ثلاثيًا مُتَصَرِّفًا قابلاً للتفاوت، وأن يكون فعلاً تامًّا غير ناقصٍ، فلا يصاغان مباشرةً من كانَ وأخواتها، وأن

(١)المصدر نفسه والجزء نفسه، ص٥٨.

يكون فعلاً مُثْبَتًا غيرَ منفيٍّ. وألا تكون الصفةُ منه على وزنِ أفعلْ الذي مؤنثه فعلاء مثل: أحور ـــ حوراء، أو أخضر ـــ خضراء. وأن يكون الفعلُ معلومًا غيرَ مجهولِ الفاعلِ. وعليه فإن المثال الذي أورده المعرّي بقول: (ضُرِب أخوك)يريد أنه لا يصح لكونه مبنيّا للمجهول.

ولا يفوت المعرّي أن يخبرنا بإعراب(أَفْعِلْ به!)، وهو أن أفعل: فعل ماض جامد أتى على صيغة الأمر للتعجب. وبه: الباء حرف جر زائد، والهاء ضمير مبني في محل رفع فاعل. والمتعجب منه فاعل؛ أي أن فعل التعجب(أَفْعِلْ به!)إنما هو من فعل لازم لا ينصب مفعولاً، ولهذا يقول: "وقوله: أهدى الناس سهمًا يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون مأخوذًا من قولهم: هدى الوحشيُّ إذا تقدم، فيكون سهمٌ منصوبًا على التمييز، ويكون أفعل مبنيًا من فعل له فاعل، ويكون الفعل للسهم، والآخر أن يكون الفعل للمخاطب من قولهم: هديته الطريق؛ فإذا حُمِل على ذلك فسهم ينتصب بفعل مضمر يدل عليه قوله: أهدى؛ لأن فعل التعجب لا يجوز أن ينصب مفعولًا، وكذلك أفعل الذي للتفضيل"[(١)].

وبذات تمتلك قدرةً خاصة على استقراء الصيغ الأدبية في كافة مستوياتها يقف المعرّي إزاء ظواهر نحويّة بلاغيّة، منشغلًا بعناصرها البسيطة أو المركبة، كاشفًا عن أسرارها ومستخرجًا لطائفها، فيما يمكن تسميته بالنحو البلاغي أو البلاغة النحوية، مثل: عود الضمير ومراعاة الرتبة في التقديم والتأخير؛ من ذلك تعليقه على قول المتنبي:

كأنّها الشّمسُ يُعْيي كَفّ قابضِهِ ... شُعاعُها ويَراهُ الطّرْفُ مُقْتَرِبَا

(١) المعرّي: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص ٥٨ ، ٥٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"حَسُن تقديمُ ضميرِ الشَّعاع قبل ذكره؛ لأنه اتصل بمخفوضٍ قد أضيف إليه مفعولٌ، كما يقال: أخذ ثوبَ غلامِه الأميرُ، فيحسنُ تقديمُ الهاء التي هي عائدةٌ على الأمير لأجل ما ذُكر. وإذا اتصل الضمير بالفاعل قبُح تقديمُه على المفعول، فلا يَحسُنُ أن يقال: خانَ غلامُهُ الأميرَ إلا في ضرورة الشعر، كما قال: [الطويل]

جَزى رَبُّهُ عَنّي عَدِيَّ بنِ حاتِمٍ ∴ جَزاءَ الكِلابِ العاوِياتِ وَقَد فَعَلْ"(١).

ويستشهد البلاغيون(٢) بالبيت السابق ــ وهو لأبي الأسود الدؤلي ــ على ضعف التأليف، وهو خروج الكلام عن قواعد اللغة المطردة، وأن ترتّب الألفاظ ترتيبًا يؤدّي إلى خفاء المعنى وعدم وضوحه، مع عدم مراعاة الرتبة في التقديم والتأخير، وعدم مراعاة الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، والشاهد فيه قوله: (جزى ربه عدي)، حيث أخر المفعول، وهو قوله: (عدي)وقدم الفاعل، وهو قوله: (ربه)، مع اتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول، وقد كان هذا موضع جدلٍ بين اللغويين؛ فهناك مَن يجيز عود الضمير على متأخِّر في اللفظ والرتبة، مستدلِّين بالبيت السابق وبأبيات أخرى، والمعنى الذي قصده الشاعر مفهوم رغم تقدُّم الضمير في(ربه)

(١) المعرّي: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص١٣٢.
(٢) انظر الشنقيطي: أحمد بن الأمين، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، وضع حواشيه محمد باسل، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج١، ص١١٤.وانظر القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص٧.وكذلك التفتازاني: سعد الدين، مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني، ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٩٧، ٩٨. والبيت لأبي الأسود الدؤلي، يهجو عدي بن حاتم الطائي، وقد نسبه ابن جنى إلى النابغة الذبياني، وهو انتقال ذهن من أبي الفتح، وسببه أن للنابغة الذبياني قصيدة على هذا الروي.

وعوده على (عدي) المتأخِّر في اللفظ والرتبة، الذي عدَّه بعض اللغويين ضعفًا، إلا أن المراد مفهومًا ومفصحًا عن مراد الشاعر فلا يصحُّ أن نتَّهمه بعدم الفصاحة؛ إذ إن "العرب تتوسَّع في كلامها، وبأيِّ شيء تَفَاهَم الناس فهو بيانٌ، إلا أن بعضه أحسن من بعض"(١).

من هذا المنطلق فإن إدراك المبدع بالمكونات المتشابكة لجزئيات صياغته يُعدُّ بُعدًا إدراكيًا، وهو ليس إدراكًا آليًّا وذهنيًّا، وإنما هو إدراك خلّاق ينقل التعبير من مستوى إلى مستوى آخر قائم على تجاوز المحفوظ اللغوي بالنسبة لموقع الدّال داخل التركيب، ويكثّف المستوى الجمالي للتعبير عن طريق خلْق بنية تتداخل فيها العلاقات، وتتبادل فيها التفاعلات بفنية تستمد قيمها من النحو الإبداعي(٢)، فقد يعمد المبدع إلى تقديم المسند تبركًا به، أو تلذذًا بذكره، أو للاهتمام والعناية به، نحو قول المتنبي:

وَأَمَرٌّ مِنْ فَقْدِ الأَحِبَّةِ عِنْدَهُ ∴ فَقدُ السُّيُوفِ الفاقِداتِ الأَجْفُنا

فمزية تقديم الخبر في البيت هو الاهتمام به ولفت الانتباه إليه، يقول المعرّي: "في البيتِ تقديمٌ وتأخيرٌ. وَأَمَرٌّ: مرفوعٌ لأن خَبَرُ ابتداءٍ،والتقديرُ: وفَقدُ السُيوفِ الفاقِداتِ الأَجفُنا أَمَرٌّ عِندَهُ مِن فَقْدِ الأَحِبَّةِ؛ يصفُه بإلفِ الحربِ وأنّه يُؤْثِرُ السُّيوفَ عَلى أحْبَابِه مِن الإنسِ"(٣). ومظهر ذلك في تعليق المعرّي أنّ الشاعر أراد لفت انتباه المتلقي إلى عناية ممدوحه بالحرب وإلفه

(١) الجاحظ: أبوعثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، ط١، ١٩٤٣م، ج٥، ص٢٨٧.

(٢) انظر عبدالمطلب: محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص٢٣٨.وكذلك انظر البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص٣٢٩.

(٣) المعرّي: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٣، ص١٣٩٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

للسيوف المشهورة دائما في وجوه أعدائه، وأنها أحب إليه من الغزل والتشبب، ومن ثمّ فإنّ فَقْدَها أشدُّ عليه مِن فَقْدِ أحبَّتِه.

وقد يعمد إلى الحذف، فيكون المحذوف خالصًا لحركته الذهنية قصدًا للإيهام، أو التقدير والتعظيم، أو الامتهان والتحقير، من ذلك قول المتنبي:

بِنَفسي وَليدٌ عادَ مِن بَعدِ حَملِهِ ∴ إلى بَطنِ أُمٍّ لا تُطَرِّقُ بِالحَمِلِ

يقول المعرّي: "النَّاسُ يقولون: بنفسي فلانٌ؛ فيرفَعونَ. وهو كلامٌ فيه حَذفٌ،وقد يجوز أن يكون على تقدير قولهِم: المُفْدَى بنفسي فلانٌ، فيكونُ وليدٌ مرفوعًا لأنه خبرُ ابتداءٍ محذوفٍ، ولا يمتنع أن يكونَ يُفْدَى بنفسي وَلِيدٌ؛ فيرتفع بأنه اسم ما لم يُسَمَّ فاعِلُه،وهذا إخبارٌ،وكأن فيه معنى التمني؛ أي: ليتني فَدَيتُه بنفسي"(١).

والمقام هنا في تعليق المعرّي جاء مزدوجًا في فاعليته الإنتاجية للمعنى؛ مرة في صورة تقدير المحذوف، ومرة في إدراك دلالة هذا المحذوف. وهو ما يعني أن التحرك الصياغي في هذا البيت قد تمّ عن وعي بحذف المسند إليه، والذي تمّ تقديره بوصفه دالًّا غائبًا يشي بمنزلته النفسية عند المتنبي، وقد تم حذفه تقديرًا وتعظيمًا لمكانته. وفي مقام الحذف اعتراف ضمني بمقدار تنبه المتلقي ومبلغ ذكائه، فـ "في هذا المقام توغِل البنية في الغموض المحسوب، حيث يكون الإسناد منتميًا إلى طرفين على درجة واحدة صياغيًا، لكن يتمّ إحالة الإسناد إلى أحد الطرفين اعتمادًا على قدرة المتلقي في ربط العلاقة الإسنادية، والانحياز بها إلى من يستحقّها أكثر من صاحبه؛ كأن يتناول الكلام شخصين تربطهما بالمتكلم صداقةٌ ما، ثم تقدِّم

(١)المصدر نفسه، ج٢، ص ٩٠١، ٩٠٢.

الصياغة حكما لواحد منهما، وهنا يتدخل المتلقي بالبحث عن المبررات العقلية التي تستدعي إلصاق الحكم بأحدهما، كأن يكون أقدم صداقة، أو أقرب مودة، وهي أمور لا تفصح عنها الصياغة، وإنما يعالجها المتلقي بالفحص والتحليل، وتجاوز البنية السطحية، والبحث في هوامشها التي تناسب طرفًا دون آخر"(١).

وقد استند المعرّي في قراءته ديوان المتنبي إلى تشكيلات التصوير البياني التي تحمل في طيّاتها دلالات لها عمقها الفني وقيمتها الجمالية، لكنه لم يربطها بالمعنى العام للشرح؛ تاركًا ذلك للمتلقي ليشاركه إنتاج دلالة النص وتشكيلها؛ من ذلك تعليقه على التشبيه في بيت المتنبي:

أدَرْنَا عُيُونًا حائِراتٍ كأنّهَا ∴ مُرَكّبَةٌ أحْداقُهَا فَوْقَ زِئْبِقِ

قائلًا: "أراد أنهم يبكونَ؛ فالمَدمعُ يجولُ في العيون كأنّه زِئبقٌ فَشَبَّه به الدَّمعَ؛ لأنهم إذا وصفُوا الماء بالصّفاءِ قالوا: كأنه دُمُوعٌ، وأراد أن نظرَهُم لا يثبُتُ لكثرةِ البكاءِ"(٢). فتعليق المعرّي لم يظهر للقارئ بلاغة التشبيه، ولم يشر إلى أثره في المعنى العام للبيت، وكأنه أراد الإبقاء على نشاط ذهن المتلقي لتأسيس أقصى صورة خيالية لامتناع الرؤية التي تحدث عنها الشاعر. وبلاغة التشبيهِ في هذا البيت تأتي منْ أنّ المتنبي انتقل بالمتلقي من الشيءِ نفسِه(ظهور الدمع في العين وغلبته)، إلى صورةٍ بارعةٍ تُمثلُه(طبيعة الزئبق وحركته المستمرة)؛ فكأن تلك العيون من كثرة حركاتها وقلة استقرارها مركبة على الزئبق.

(١) عبدالمطلب: محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق ، ص٢١٨ ، ٢١٩.
(٢) المعرّي: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٧٨٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويظهر من تعليقات المعرّي عن التشبيه أنّه يهتمُّ بالجانب الدلالي للتشبيه على حساب الجانب التعليمي الذي يفصّل أركانه؛ حيث يكتفي بالإشارة إليه دون تعقيب، ففي تعليقه على بيت المتنبي:

وبَسَمْنَ عَنْ بَرَدٍ خَشيتُ أُذِيبُهُ ∴ من حَرّ أنْفاسي فكُنْتُ الذّائِبَا

يقول: "شبهوا الثغر بالبرد، ثم حذفوا التشبيه"(١)، وهذا التعليق يترك للقارئ الحريّة المطلقة في مواجهة النص. فما جاء في الشطر الأول ليس تشبيها وفق المعروف من عبارات التشبيه، لكن يفهم منه ضمنا تشبيه، وهو أنّهنَّ ابتسمن عن ثغر هو البرد ذاته ـــ ولم يقل كالبرد ـــ وقد خشي الشاعر أن يذيب هذا البرد بحرِّ أنفاسه الملتهبة من الشوق ولوعة الوجد، فآثر أن يذوب هو. ويسمى هذا النوع من التشبيه ضمنيًّا؛ لأنه مستتر وخفي ومكنى عنه، ولا يأتي على صور التشبيهات المعروفة غالبًا، بل يلحظ في تضاعيف الكلام.

وكذلك الأمر بالنسبة لمصطلح الاستعارة، لم يهتم المعرّي بذكر أركانها، ولم يسمّ نوعها، بل اكتفى بذكر القرينة الصارفة عن إرادة ما وضع له اللفظ أصلا؛ من ذلك تعليقه على بيت المتنبي:

المَوتُ أَقرَبُ مِخلَبًا مِن بَينِكُم ∴ وَالعَيشُ أَبعَدُ مِنكُمُ لا تَبعُدوا

قائلاً: "استعارَ المِخْلَبَ للموتِ، شَبَّهَهُ بِمِخْلَبِ الأَسَدِ؛ لأنه مُهْلِكٌ"(٢). فهو يدّعي السبعية للموت في اغتيال النفوس، ومن ثم جعل له شيئًا من لوازم المشبه به(المِخْلَب)، طاويًا لذكر المشبه به وهو السَّبع، اعتمادًا على أن

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١١٨، ١١٩.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٣.

إضافة المِخْلَب إلى الموت تدل على أن السبع مستعار له. والاستعارة في البيت استعارة مكنية ذات قرينة تخييلية، بمعنى أن يستعار لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر في الوهم، ثم تردف بذكر المستعار له إيضاحًا لها أو تعريفًا لحالها، وهو بحث في ماهية المستعار من جهة الحسي والعقلي، ومناسبته للمستعار له، من ذلك مناسبة المِخْلَب للموت(المَوتُ أَقْرَبُ مِخلَبًا)، فالمِخْلَب مادّيّ حسّيّ، والموت معنويّ عقليّ، وتركيب المِخْلب للموت ضرب من التخييل، لأن إثبات المِخْلَب للمشبه خيّل اتحاده مع المشبه به.

وللجدّة والابتكار في الاستعارة ملامح عدّة؛ منها التشخيصُ والتجسيمُ، وهما سبيل الخيال الخلاق في إبراز الحياة في صور جديدة، ومن لطيف هذا الجنس قول المتنبي:

أَماتَ رِياحَ اللُؤمِ وَهيَ عَواصِفٌ ∴ وَمَغْنَى العُلَى يُودِي وَرَسْمُ النّدى يَعْفُو

يقول المعرّي: "استعارَ للرِّيحِ الموتَ، كما استعاروا لها المَرضَ، فقالوا: ريحٌ مريضَةٌ؛ أي ضعيفةٌ، وجعلَ للّؤْمِ رياحًا عاصفةً؛ لأنَّ اللُّؤمَ مذمومٌ، وكذلك الريحُ العاصفةُ ليس فيها فائدةٌ. والواو في قوله: (ومَغْنَى) في معنى إذ، أي أماتَ رياحَ اللُّؤْمِ وهي تَعصِفُ فتُودِي بمَغْنَى العُلَى وتُعَفِّي رسْمَ النَّدَى"(١). ونسبة الموتِ واللُّؤمِ إلى الريحِ من باب التشخيص، لأنهما للإنسان لا للجماد. وبلاغة الاستعارة في هذا البيت تمتح من رد فعل المتلقي تجاه الاستعارة المكنية وقرينتها التشخيصية؛ إذ يكون مدعومًا بحركة ذهنية مكثفة، وكلما تكثفت الحركة الذهنية، كان ذلك أدعى لتكاثر ردود فعله، ومن ثم تفاعله مع الصورة؛ لاحتياجها لمزيد من التأمل والتفكير.

(١) المعرّي: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٧٤٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكما التفت المعرّي إلى التشبيه والاستعارة في ديوان المتنبي، التفت أيضًا إلى الكناية والتعريض، مميّزًا بين البِنْيَتَيْن؛ حيث يتبدّى من تعليقاته أنّ التعريض بنية مجاوزة للكناية؛ فأما الكناية ففي تعليقه على بيت المتنبي:

سَقى اللّهُ ابنَ مُنْجِبَةٍ سَقَانِي ∴ بِدَرٍّ ما لِراضِعِهِ فِطَامُ

الذي فيه: "أصل الدَّرِّ: اللبنُ، وكأنه سُمِّيَ بالمصدر من قولهم: درَّ الشيءُ يَدُرُّ إذا غَزُرَ. وقالوا: للهِ دَرُّهُ؛ أي: للهِ اللبنُ الذي أُرْضِعَ به؛ يقولون ذلك للرجل إذا عَجِبوا من فضله. . . وقول القائل: بِدَرٍّ ما لراضِعه فِطَامُ: كناية عن جُودٍ متصل ليس له فَنَاءٌ ولا انقضاء، وليس هو كالرَّضاع الذي يُفطمُ منه الصبي، بل هو دائم للأبد"(١)؛ ما يؤكد الذي ذكرناه عند شرح ابن جنّي للصورة الكنائية في شعر المتنبي، وهو أنها بنية ثنائية الإنتاج تعدّ محايدة بين الحقيقة والمجاز، ذلك أن حدودها المعرفية تعتمد على ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور(الرَّضاع الذي يُفطمُ منه الصبي)إلى المتروك(الجُود المتصل غير المنقضي)؛ أي أن المعنى الحقيقي والمجازي مطروحان في السياق.

وأما التعريض ففي تعليقه على قول المتنبي:

إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خَلاصًا من الأذَى ∴ فَلا الحَمدُ مكسوبًا وَلا المالُ باقِيَا

بقوله: "في هذا البيت تعريضٌ بِذَمٍّ من فارق؛ لأنه ذكر أنهم جادوا له جُودًا لم يَخْلُص من أَذِيَّةٍ،وإذا كان الجود كذلك فالجودُ ما حُمِدَ والمالُ ما بَقِي"(٢)، فالمال يذهبه الجود، والأذى يبطل الحمد، والمانّ بما يعطى غير

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص١٢٥٧ ، ١٢٥٨.

(٢) المعرّي: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق ، ج٣، ص١٤٦٤.

محمود ولا مأجور. وفي هذا التعليق ما يؤكد أن التعريض يتأتّى من تجاوز المنطوق في مستواه السطحي أو العميق؛ ففي قول المتنبي نفيٌ للكرم عمّن يُتبِعون عطاياهم بالأذى والمنّ، وتعريضٌ بمن ينطبق عليه ممّن لقِيَهم وفي مقدمتهم سيف الدولة؛ ومن ثم فإن التعريض يعتمد على مشتركٍ بين المتكلم والمتلقي، فعلى المتكلم أن يُتقِن عَرضَه وعلى المتلقي أن يُتقِن فَهمَه.

وهكذا كان المعرّي في موقفه إزاء النص شارحًا، ومحللاً، ومقارنًا، ومعللاً، يشده المعنى كما يستهويه اللفظ ويتخلل ذلك استطرادات إلى ما يجده نافعا في توضيح قول أو توثيق رأي، كما برزت ثقافته اللغوية الواسعة في منهجه، فهو لا يغفل الجانب الجمالي للعبارة، ورصانة التعبير، وحسن وقعه في النفس، كما يولي الألفاظ وأصواتها وتراكيبها اهتمامًا كبيرًا، فقد عني في شرحه بإيراد المترادفات، واللغات المختلفة للمفردة الواحدة، والاستشهاد بالشعر قديمه ومحدثه، إلى جانب الاستشعاد بالقرآن والحديث.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المحور الثالث: الرؤية النقدية عند ابن مَعْقِل في مآخذه على شرح ابن جنّي والمعرّي

إنّ دلالات النص ليست شيئًا يمكن استخلاصه، وإنما هي حالة تعرض لذهن المتلقي وتحدث في عقله أثناء القراءة؛ لذلك فإن النص إنما يتجه إلى قارئ مدرك تعود على التعامل مع الأشكال الأدبية، وتكيّف مع التقاليد والقيم الفنية التي تحكم إبداعها، فضلا عن كونه موكولا بأن يلمّ بصيرورة النشاط الإبداعي وإدراك توالي النصوص على النص الجديد؛ الأمر الذي ألحّ عليه بارت في كتابه(S/Z)؛ حيث تصبح الذات القارئة مثل النص، مكونة من نصوص أخرى، وآثار، وشفرات لا نهائية(١).

وتباعًا لذلك فإن الرؤية النقدية في مآخذ ابن معقل ــ بوصفها سيرورة تأويلية ــ ترتكز على ثلاث مراحل: هي الفهم، والتفسير، والتأويل: فأما الفهم فيتشكّل من أحكامه المسبقة على شروح الديوان التي شكّلت وعيه وهو بصدد قراءته نص المتنبي، من ذلك مؤاخذته ابن جنّي في شرحه قول المتنبي:

وكان مَسيرُ عِيسهِم ذَميلاً ∴ وسَيْرُ الدَّمعِ إثرَهُمُ انهِمَالا(٢)

فقد قال ابن جنّي: "أيْ سَبقَتْ دُمُوعي عِيسَهُمْ وجاوزَتْ حدّها"(٣).

وردّ عليه ابن مَعقِل بقوله: "لم يُرِدْ أبو الطيب أنّ عيسَهُم سارَت وسارَت دُمُوعي تُسابِقُها في السّيرِ فسَبَقَتْها، ولو أراد ذلك لكان ــ لعمري ــ معنى سائغًا بالغًا، ولعلّه أراده!والظاهرُ أنّه وَصَفَ عيسَهم بالجدِّ في السّير،

(١) انظر عبد السلام: مصطفى بيومي، التناص النظرية والممارسة، مرجع سابق، ص٦٧.
(٢) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٦١.
(٣) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج٣، ص١٥٤.

ووصفَ نفسَه بالجدِّ في البُكاء، وأنّ جِدّه في ذلك أكثرُ من جِـدّهم. وجعـل صفةَ الانهمالِ في الانحدارِ أوْفَى من صفةِ الذَّميلِ في السَّيرِ"(١).

وهنا يذكر ابن مَعْقِل أنّ المعنى الذي أورده ابن جني مقبـول، ولكنّـه فضّل عليه معنى آخر قدّمه هو. والحقُّ أنّ ما أورد ابن جنّي أحقّ بمـا أراد المتنبي؛ ذلك أن الجانب اللغوي عند ابن جنّي قد مكّنه من الوقـوف علـى معاني المتنبي الدقيقة والظفر بها، فهذا البيت متصلا بالبيت الـذي يسـبقه لغويًّا، في سياق يُضعف زعم ابن مَعْقِل؛ إذ يقول المتنبي:

تَوَلَّـوا بَغتَةً فَكَـأَنَّ بَينًا ∴ تَهَيَّبَني فَفاجَأَني اِغتِيالا

وكان مَسيرُ عِيسهِم ذَميلاً ∴ وسَيْرُ الدَّمعِ إثرَهُمُ انهِمَالا(٢)

ففي بيتَي المتنبي للمتأمل قضية نحوية دقيقة؛ وهي عطف الجمل، فقد يأتي الشاعر بالجملة فلا يعطفها على ما يليها، ولكن يعطفها علـى جملـة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان، كما هي الحال في بيت المتنبي السابق؛ ففي قوله: (وكان مَسيرُ عِيسهِم)معطوف على(تَوَلَّوا بَغتَةً)دون مـا يليه من قوله: (فَفاجَأَني)؛ ذلك أننا إن عطفنا نفسد المعنى من حيـث إنـه يدخل في معنى(كأنّ)، وذلك يؤدي إلى أن يكون مَسير عيسِهم مُتوَهَّمًا، كمـا كان تهيُّبُ البَين كذلك، "ولا شك أن هذا التوهم كان بسبب أن كـان التـولي بغتة. . . وهاهنا شيء آخر دقيق، وهو أنك إذا نظرت إلى قولـه: (فكـان مسير عيسهم ذميلا) وجدته لم يعطف هو وحده على ما عطف عليه، ولكن

(١) المُهَلَّبي: أحمد بن علي بن مَعْقِل، المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي(المآخذ على شرح ابن جني)، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م ، ج١ ، ص٢٣٧ ، ٢٣٨.

(٢) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٦١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تجد العطف قد تناول جملة البيت مربوطًا آخره بأوله. ألا ترى أن الغرض من هذا الكلام أن يجعل توليهم بغتة، وعلى الوجه الذي توهم من أجله أن البين تهيبه مستدعيًا بكاءه، وموجبًا أن ينهمل دمعه. فلم يعنه أن يذكر ذملان العيس إلا ليذكر هملان الدمع وأن يوفق بينهما. وكذلك الحكم في الأول، فنحن وإن كنا قلنا إن العطف على(تولوا بغتة)فإنا لا نعني أن العطف عليه وحده مقطوعا عما بعده، بل العطف عليه مضموما إليه ما بعده إلى آخره، وإنما أردنا بقولنا: (إن العطف عليه)أن نعلمك أنه الأصل والقاعدة، وأن نصرفك عن أن تطرحه، وتجعل العطف على ما يلي هذا الذي تعطفه فتزعم أن قوله: (فكان مسير عيسهم)معطوف على(فاجأني)فتقع في الخطأ كالذي أريناك"(١).

وتماشيًا مع السياق العام للأبيات يكون المعنى تولّوا بغتةً فتوهمت أنّ الفراقَ هابني، ولم يجرؤ على أن يَقدِم عليّ جهارًا، فهاجمني حين غفلت عنه، فبادَرتْ دموعي مسرعةً تلاحق عِيرَهم الظاعنة، وجدّت في ذلك حتى كان لها السبق. وجاز للشاعر أن يجمع بين المسيرين؛ مسير العير، ومسير الدموع، من حيث السبق والتأخر من باب الاستعارة .

وأمّا المعرّي، فقد آخذه على شرح قول المتنبي:

حَتّامَ نَحنُ نُساري النّجمَ في الظُلَمِ ∴ وَما سُراهُ عَلى خُفٍّ وَلا قَدَمِ(٢)

(١) الجرجاني: عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، مصدر سابق، ص٢٤٤ ، ٢٤٥.
(٢) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٢٧.

إذ يقول: "تُساري النّجم نُفاعلُه من سَرَيْتُ الليلَ؛ أي: نحنُ نسْري بِخَيْلٍ وإبلٍ، وربُّما سَعَيْنا بالأَقْدامِ، والنجمُ ليس يسري بِخُفٍّ ولا قدم فلا يجدُ ألمًا كما نجد"(١).

فردّ عليه ابن معقل بقوله: "إنّه لم يردِ الخيلَ هَا هُنا في المُسَاراة، ولو أرادها لذكر ما تَسْري عليه من حافرٍ، وإنّما أرادَ الإبلَ والقومَ السّارين بها، المُعْملين لها. يقول: نحن والإبل نسري على خفّ فنألم، والنّجمُ يَسرِي فلا يألَم، لأنه ليس بذي خُفٍّ أو قدمٍ كالإبلِ والناس، وهذا استفهامُ إنكارٍ واستعظامٍ، وهو، وإن لم يذكُر الخيلَ لم ينْفِ أن تكون معه سائرةً"(٢).

تجاوز المعرّي في شرحه منطوق المتنبي، ذاكرًا بعض الإسقاطات الدلالية التي يحتملها النص؛ الأمر الذي لم يرتضه ابن مَعْقِل؛ إذ يريد من الشارح الدقة في شرحه وعدم تحميل النص ما لم يأت في منطوق الشاعر، ويريد منه الالتزام بما يفهم من كلامه، لكن مسألة الدقة والالتزام بما أراده الشاعر هذا أمر فيه تعسف، خاصة مع وجود قرائن تعزز ما أسقطه الشارح من دلالات خارجية تحتملها لغة النص، وإن غايرت منطوقه؛ ومن ثمّ فإن دعوى ابن مَعْقِل واهية لا سند لها سوى أنها جرأة منه في الاعتراض على المعري الناقد اللغوي البلاغي، يتبيّن ذلك بإنعام النظر في قول المعرّي: (نحنُ نسْري بِخَيْلٍ وإبلٍ، وربُّما سَعَيْنا بالأَقْدامِ)؛ ذلك أنه عدّ قول المتنبي: (عَلى خُفٍّ وَلا قَدَمٍ) من الإيجاز بالحذف على سبيل الاكتفاء، وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة

(١)المعرّي: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق ، ج٣، ص١٣٣٠.
(٢)المُهَلَّبي: ابن مَعْقِل المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي(المآخذ على شرح المعري)، مصدر سابق، ج٢، ص٢٠٩، ٢١٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بلاغية؛ من ذلك قول الله عز وجل: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}. ففي قوله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ}إيجاز بالحذف، على سبيل الاكتفاء، إذ التقدير: تقيكم الحر والبرد. "قالوا: وخص الحرّ بالذكر لأن المخاطبين الأولين كانوا عربًا، وبلادهم حارّة، والوقاية من الحرّ هي الأهم لدى معظمهم"(١).

والبنى البلاغية تعتمد ـــ من جملة ما تعتمد ـــ في استحضارها المتلقي بحركته الذهنية إلى رحاب الصياغة بوصفه فاعلا في إنتاج المعنى على التضام، أو المصاحبة المعجمية، وتعني توارد أزواج من الكلمات تحكمها علاقة نسقية في خطاب ما؛ قد تكون علاقة تعارض، مثل: ولد/بنت، أو علاقة أخرى مثل: الكل/الجزء، أو الجزء/الجزء. . . إلى غير ذلك من العلاقات التي يهتدي إليها المتلقي معتمدًا على حدسه اللغوي، وعلى معرفته بمعاني الكلمات(٢)؛ فلمّا كان من تمام صورة الارتحال الكلية أن تكون الخيل ممّا يمتطيه العربي، استحضرها المعرّي في شرحه بيت المتنبي. وإنما خصّ المتنبي الإبل بالذكر على سبيل الاكتفاء؛ لأن الإبل تتمتع بخصوصية عند العربي فهي شريكة له في حسراته وأحزانه، يدل على ذلك قول المسيب بن علس: (وقد أتناسى الهمّ عند ادّكاره بناجٍ)، وكذلك أبيات المتنبي تدور في سياق ساده الحزن والتشاؤم؛ فصحّ للمتنبي الاكتفاء وصحّ للمعري أن يهتدي إليه ويبرزه في شرحه.

---

(١) انظر حبنّكة: عبدالرحمن، البلاغة العربية: (أسسها وعلومها وفنونها)، دار القلم دمشق بيروت، ج٢، ص٤٨ ، ٤٩.

(٢) راجع عبد المجيد: جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية للكتاب، ط١٩٩٨م، ص١٠٧وما بعدها.

وأما التفسير؛ فممّا يعدّ تفسيرًا في قراءة ابن مَعقِل تعويله على الشاهد الشعري أو القرآني أو ما عرف من الفصيح في كلام العرب في تتبعه معنى المفردة؛ لذا نراه ــ أحيانًا ــ يرفض تفسير ابن جنّي والمعرّي أو يعترض عليه، من ذلك ما أخذه على ابن جنّي في شرح قول المتنبي:

أيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالِيْ رأسِهِ ∴ وَقَفًا يَصيحُ بها أَلا مَنْ يَصْفَعُ[١]

يقول ابن جنّي: "الصَّفْعُ(ليس)من كلام العرب، وقد أُولِعتْ به الأمَّةُ، وصرّفوه، فقالوا: صفعتُه، أصفعُه صفعًا، ورجلٌ صَفعَانُ، وكلّه دَخيلٌ مُولّدٌ، لا أعرفُ له في اللُّغة العربية أصلا"[٢]. وردّ ابن معقل قائلاً: "قد ذكرَه الخليلُ!قال: يقالُ صَفَعتُ فلانًا أصفعُه صفعًا؛ إذا ضربتَ بِجُمعِ كفِّك قَفَاه، ورجل مَصفَعانيٌّ: يُفعلُ ذلك به"[٣].

وهنا تتجلّى كفاءة ابن معقل اللغوية حين يؤاخذ ابن جنّي على تفسير هذه المفردة، وإذ نؤيد ابن معقل في اعتراضه رغم أن بعض المعاجم العربية اللاحقة[٤]على معجم العين، قد ذكرت أن المفردة مُولّدة، فإن ذلك راجع إلى أنه يستند في رأيه إلى معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو أول معجم عرفته العربية، وأهم ما يميزه إلى ـــ جانب نظامه ـــ أن

(١)المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص٤٦٥.
(٢) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج٢، ص٤٢٠.
(٣)المُهَلَّبي: ابن مَعْقِل، المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي(المآخذ على شرح ابن جني)، مصدر سابق، ص١٥٠ .
(٤)انظر على سبيل المثال ابن منظور: لسان العرب، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي/بيروت لبنان، ط٣ ، ١٩٩٩م، ج٧، ص٣٦٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مفرداته جمعت بطريقة منطقية رياضية، دون الاعتماد على استقراء الألفاظ وتتبعها في مؤلفات السابقين، أو جمعها من شفاه الرواة، حيث حكم القوانين الصوتية إلى جانب تحكمه للمادة اللغوية المسجلة، فلاحظ أن"الكلمة العربية قد تكون ثنائية، وقد تكون ثلاثية، وقد تكون رباعية، وقد تكون خماسية. وفي كل حالة إذا أمكن تبديل حروف الكلمة إلى جميع احتمالاتها(بالانتقال من حرف هجائي إلى الذي يليه)وأمكن تقليب أماكن هذه الحروف إلى جميع أوجهها الممكنة يكون الحاصل معجمًا يضم جميع كلمات اللغة من الناحية النظرية. ولكن لا توجد لغة تستخدم جميع إمكانياتها النظرية، ولهذا كان لا بد للخليل بعد الإحصاء النظري أن يميز بين المستعمل من هذه الصور والمهمل. وقد فعل ذلك، واستفاد في تمييز المستعمل من المهمل بثقافته اللغوية الخصبة، وبخبرته الصوتية الباهرة، ومعرفته بالتجمعات الصوتية المسموح بها وغير المسموح بها في اللغة العربية"(١).

ومما أخذه على المعرّي تفسيره كلمة الدُّمُستُق في قول المتنبي:

رَضينا وَالدُمُستُقُ غَيرُ راضٍ ∴ بِما حَكَمَ القَواضِبُ وَالوَشيجُ(٢)

يقول المعرّي: "الدُّمُستُقُ: كلمةٌ روميةٌ معرّبةٌ، ولا تُعرَفُ في شعرٍ فصيحٍ. وبناؤها على غير بناء العربيةِ؛ لأن تاءها مضمومةٌ، فليس في الخماسيّة لها نظيرٌ، ولو كانت التاء مكسورةً لكان نظيرها من الخماسي قُذَعْمِلًا ونحوه"(٣). وردّ ابن معقل قائلاً: "وكثير من الأعجميّ الرّومي وغيره،

(١)عمر: أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب/القاهرة، ط٦ ، ١٩٨٨م، ص١٧٩.

(٢)المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص١٧١.

(٣) المعرّي: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق ، ج١، ص٢٦٠.

لم يستعمل في كلام العرب، وإذ لم يستعمل في كلامهم، فجائز أن يستعمله الشّعراء المحدثون، لحاجتهم إلى الإخبار عنه، وإلا أدّى إلى عدم الكلام، أو عدم الإفهام. . . وكثير من الأسماء العربية لم تستعمل في أشعار العرب، وجائز استعمالها للإخبار والبيان"[١].

واعتراض ابن مَعقِل على المعرّي منطقيّ ـــــ وإن كان المعرّي لم يفصح عن انتقاده للمتنبي استعماله كلمة روميّة ـــ ويبدو منه اطلاعه على رأي ابن سنان[٢]الذي يصيغ للمبدع التعامُل مع مثل هذه الكلمات، فهو ليس مرفوضًا رفضًا مطلقًا، ولا مندوحة له عن الكلمة الغريبة إذا اقتضى السياق ذلك، كأن تكون اسمًا لعلم أو مكان، فلا بُدَّ من ذكرها لكمال الإفادة، فالمتنبي له عذر واضح في ذكر(الدُّمُستُق)؛ لأنه لقب قائد جيش الروم الذي هزمه سيف الدولة، وليس يحسن أن يذكر اسمًا غيره. وهذا ما يؤخذ على كلا القارئَين؛ حيث استطردا في الحديث عن استعمال الكلمات الأعجمية في كلام العرب دون أن يشيرا إلى أن الدُّمُستُق اسم لقائد جيش الروم؛ الأمر الذي يعين المتلقي على فهم البيت ومقصد الشاعر.

وأما التأويل؛ فممّا يعدّ تأويلاً في قراءة ابن مَعقِل سبرُ أغوار النص الدلالية بالكشفِ عن معنى المفردة ضمن سياقها العام، وبيان مرادفاتها وعلاقاتها النحوية في النص، وتجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة؛ وهذا ما جعله أحيانًا يرى أن المعنى الذي توصّل إليه هو ما يقصده المتنبي،

---

(١)المُهَلَّبي: ابن مَعْقِل المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي(المآخذ على شرح المعري)، مصدر سابق، ص٦٩، ٧٠.

(٢)انظر ابن سنان: أبو محمد عبدالله ، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ١٩٨٢م ، ص٦٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن ثمّ يؤاخذ ابن جنّي والمعرّي في إخفاقهما في الوصول إليه، من ذلك ما آخذه على ابن جنّي في شرحه قول المتنبي:

فَجَعَلتُ ما تُهدي إلَيَّ هَدِيَّةً ∴ مِنّي إلَيكَ وَظَرفَها التَأميلا(١)

قال ابن جنّي: "هذا البيت يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون أهدى إلى صديقه الممدوح ما كان صديقُه أهداه إليه، فيكون هذا استعمالا لما تركه ابن الرّومي في قوله:

أيُّ شيءٍ أُهْدي إليكِ وفي وَجْـــ ∴ ـهِكَ شيءٌ من كُلَّ ما يتمنّى؟

مِنكِ يا جنّةَ النَّعيمِ الهَدايَا ∴ أفَأُهدِي إليْكَ ما مِنْكَ يُجْنَى؟

إلا أنّ المتنبي خبّر أنه أهدي إليه ذلك الشيء بعينه، وابنُ الروميّ قال: كيف أُهدي إليكَ ما من عادة مثله أن يُهدى منك، فبينهما فصلٌ لطيفٌ، فهذا أحد المعنيين. والمعنى الآخر أن يكون أراد جعلتُ ما من عادتك أن تهديَه إليّ وتُزوِّدَنيَه وقت فراقِك هديّة مني إليك؛ أي: أسألُك أن لا تتكلّفه. والقولُ الأوّلُ أشدُّ انكشافًا وأظهر، والقول الثاني أقوى وألطفُ"(٢). ويردّ ابن معقل: " انظروا ــ هداكم الله ــ إلى إرسال عنانِه في الضَّلال، وإقامتِه لصُوَرِ المُحال، وذكرِه لهذين الوَجهينِ القبيحَينِ اللذين لم يصدُرا إلا عن قُبحِ فَهمٍ، وخَبطٍ في ظُلَم الشك. . . والمعنى أنّي أحببتُ برَّك إذ أردتُ الرحيلَ عنك؛ يخاطبُ الممدوح، فوجدتُ أكثر ما وجدتُ من المال، ومما يحسُن أن يُهدَى قليلا بالإضافة إلى ما يصلحُ وما يكون على قدرك. ورأيتُ رغبتَك في

(١) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٣١.
(٢) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج٣، ص٧٤ ، ٧٥ .

المكارمِ، فجعلتُ الذي تُهديهِ إليَّ هديَّةً منِّي إليك لأنّك ترَى وتعتدُّ الذي تُعطيهِ كأنّك تُعطَاه، وهذا من قول زهير: (كأنك تُعْطِيهِ الذي أنت سائِلُهْ)"[١].

وتأويل ابن معقل له وجاهته، ونقرّ له بجهده في تأويل المعنى، لكنّ قسوته في انتقاد ابن جنّي غير مقبولة، واللافت للنظر أنّ ابن جنّي في شرح ذلك النص أتى بثلاثة أبيات جملة، معقّبًا على الثالث منها فقط؛ ظنًّا منه أن معنى البيتين الأوّلين واضح، وأن البيت الثالث فيه إشكال على القارئ، فأردفه بقوله: (هذا البيت يحتمل معنيين)، ولم يقل هذه الأبيات؛ ولهذا جاء شرحه على هذا الشكل:

أَحبَبتُ بِرَّكَ إِذْ ذكَرتُ رَحيلا ∴ فَوَجَدتُ أَكثَرَ ما وَجَدتُ قَليلا

وَعَلِمتُ أَنَّكَ في المَكارِمِ راغِبٌ ∴ صَبٌّ إِلَيها بُكرَةً وَأَصيلا

فَجَعَلتُ ما تُهدي إِلَيَّ هَدِيَّةً ∴ مِنّي إِلَيكَ وَظَرفَها التَأمِيلا

(هذا البيت يحتمل معنيين ....)، ثم أتى بالبيت الرابع وتبعه بالشرح، هكذا:

بِرٌّ يَخِفُّ عَلى يَدَيكَ قَبُولُهُ ∴ وَيَكونُ مَحمَلُهُ عَلَيَّ ثَقِيلا

أي: لا كُلفة عليك فيه؛ لأني لم أتكلف لك شيئًا من مالي، وإنما هو من مالك عاد إليك، أو بقيَ بحاله عندك، ويكون محمل شكرك على قبوله ثقيلا عليّ لتكامل صنيعك به[٢].

---

(١) المُهَلَّبي: ابن مَعْقِل، المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي(المآخذ على شرح ابن جني)، مصدر سابق، ص٢٢٧ : ٢٢٩ .

(٢) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج٣، ص٧٤ ، ٧٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتباعًا لما سبق فإنّ انتقاد ابن معقل لابن جنّي بأنه قد أخفق في الوصول إلى ما أراده المتنبي، زعم باطل، ذلك أنه مبنيّ على شرح البيت الأول الذي يقول فيه المتنبي: (أَحبَبتُ بِرَّكَ إِذ ذَكَرْتُ رَحيلا)، ولهذا بدأ انتقاده بقوله: (والمعنى أنّي أحببتُ برَّك إذ أردتُ الرحيلَ عنك؛ يخاطبُ الممدوح. . . .)، بينما ابن جنّي في تعليقه يشرح البيت الثالث ـــــ كما أوضحنا سابقًا ـــ فإذا جمعنا بين شرح البيت الثالث والرابع في تعليق ابن جنّي، سيكون المعنى: (جعلتُ ما من عادتك أن تهديَه إليّ وتُزوَّدَنيَه وقت فراقِك هديّة مني إليك؛ أي: أسألُك أن لا تتكلّفه، لأنّي لم أتكلفْ لك شيئًا من مالي، وإنّما هو من مالك عاد إليك، أو بقيَ بحاله عندك، ويكون محمل شكرك على قبوله ثقيلا عليّ لتكامل صنيعك به)، ولوجدناه أتم وأكمل مما أورده ابن معقل، بل إن ما أتى به ابن معقل يدور في فلك معنى ابن جنّي ولم يرتق إليه، لكنّ إكبار ابن معقل لمنزلة ابن جنّي اللغوية جعلته يترصد أيّ إخفاق له، ربمّا أراد الشهرة، فكيف لعالم متأخر أن يجرؤ على تخطئة ابن جنّي الذي ينقل عنه كبار الشراح ويحيلون عليه؟!.

ومما آخذه عليه أيضًا شرحه قول المتنبي:

إِذا التَوديعُ أَعرَضَ قالَ قَلبي ∴ عَلَيكَ الصَمتُ لا صاحَبتَ فاكا[1]

قال ابن جني: أي: قال لي قلبي: لا تمدح أحدًا بعدَه[2].

وردّ ابن معقل: إن قوله في هذا: "لا تمدح أحدًا" تفسيرٌ لا يقولُه أحدٌ، وهل يُشكِلُ هذا على من له أدنى تبصُّر، وأيسرُ تفكُّرٍ وقد قال: (إذا التّوديع

(١) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص١٦.
(٢) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج٢، ص٦٤٢.

أعرض ....) أن قلبه يأمُرُه بالصمتِ عن ذكرِ الوداعِ الـذي هـو مقدمـةُ الفراق، وقوله: (.... لا صاحَبتَ فَاكَا)دعاءٌ عليه إن نطق به. أولا يرى إلى البيت الذي بعدَه، وهو قوله:

وَلَولا أَنَّ أَكثَرَ ما تَمَنّى ∴ مُعاوَدَةٌ لَقُلتُ وَلا مُناكا

كأنّه وقعَ بينه وبين قلبِه خصَامٌ ومنازعَةٌ، فدعَا عليه قلبُه بأنْ قالَ: لا صَحَبْتَ فَاكَ إنْ ذكرْت الوداعَ! وقال هو لقلبِه: ولولا أنّ أكثرَ مُناكَ المُعـاودَةُ إلى عضُدِ الدّولة لقلت: وأنت، لا صاحَبتَ مُناكَ!فإنّما أمرُ قلبِه له بالصّـمت عن ذكر الوداع لا عن مَدْحِ غيره![1].

وأول ما يتبادر إلى الذهن من تعقيب ابن معقل أنّ ثمة تفاوتًـا بينـه وبين ابن جنّي، من حيث الدراية بأحوال المتنبي، ومن ثمّ الخبرة والتمرس بلغته وما يتفق مع شخصيته، ذلك أنه عايشه وخالطه في معظـم أحوالـه؛ ولهذا كان إذا سُئِل المتنبي عن معنى قاله، أو توجيه إعـراب حصـل فيـه إغراب، قال: عليكم بالشيخ ابن جنّي فسلوه، فإنَّه يقول ما أردت ومـا لـم أُرِد[2]، وهذا ليس قدحًا في شأن الناقد أو إعلاء من شأن الشـارح، وإنمـا دراية ابن جنّي بصاحبه تجعلنا نوافقه على ما ذهب إليه من معنـى، ومـا ذكره ابن معقل أحد الوجوه التي أوردها الشرّاح في هذا البيت، وهو وجـه مقبول لكن في حدود وصف ابن معقل له في قوله: (لا يُشكِلُ هذا على مـن له أدنى تبصُّر، وأيسرُ تفكُّرٍ)؛ وعليه فالمعنى الذي أورده ابن معقل معنـى

(١) المُهَلَّبي: ابن مَعْقِل، المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي(المآخذ على شرح ابـن جني)، مصدر سابق، ص١٩٣ .

(٢) انظر ابن جني: أبو الفتح عثمان، الخصائص، مصدر سابق، ج١ ، ص٢١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مباشر وسطحي لا يُشكِلُ على أحد، بينما ما أورده ابن جنّـي فهـو معنـى مركب يمتح من السياق العام للنص.

ويمكن للمتأمل في طبيعة شخصية المتنبي ـــ قبـل الوقـوف علـى سياق النص ـــ من خلال قصائده عامة، ومدائحه للأمراء والملوك خاصة، أن يجد شخصًا شديد الاعتزاز بنفسه، شديد الانتماء للعروبة، شديد البغض للعجم، كما يجد أنه كان إذا حَلَّ بمجلس أحدهم مدحه أحسن المـديح، وإذا غادره قال فيه أجمل القول ـــ باستثناء كافور أمير مصر الإخشيدية ـــ ثم ينتقل إلى مديح غيره، وربما فاق مديحه للأول، وفي كل قصيدة وداع يلقيها قبل رحيله، يقولها بلهجة عنيفة شديدة؛ مؤكدًا لمن رحل عـنهم اعتـزازه بنفسه، وأنهم سيندمون بعد فراقه؛ من ذلك قوله مودّعًا سيف الدولة: (. . . لَيَحدُثَنَّ لِمَن وَدَّعتُهُم نَدَمُ)[1]، لكنّه في هذا النص لم يكن مودّعًا عضد الدولة وحده، بل ودّع نفسه وخاطبها في يقين من الخطر، تاركًا لنا نصًّـا انطـوى على شفرات أسرار النهاية.

لقد كان المتنبي رافضًا لدعوة عضد الدولة في بادئ الأمر، لكنه أعاد عليه الدعوة مصحوبة بمزيد من الإغراءات، فقبلها معلنًا أنـه لـن يطيـل البقاء، ومن ثمّ فإنّ احتمال أن يكون المتنبي قد كره العودة إلى ديار أهلـه، وأحبّ المكوث في بلاد العجم أمر مستبعد؛ الأمر الذي يعني أنّ تفسير ابـن معقل لقول المتنبي: (إذا التّوديع أعرض. . .)، أنّ قلبه يأمُرُه بالصمتِ عن ذكرِ الوداعِ، لا يتماشى مع شخص المتنبي ومراده الذي كشف عنه سـياق النص، ويكون ما أورده ابن جنّي أتمّ وأكمل اتصالا بتلك الـروح المغتربـة

(١) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦٧.

المضطربة التي دفعت صاحبها إلى المداراة؛ فتارة يقول: (أَروحُ وَقَد خَتَمتَ عَلى فُؤادي. . . بِحُبِّكَ)، وتارة يقول: (أَذَمَّت مَكرُماتُ أَبـي شُـجاعٍ. . . . لِعَينِيَ مِن نَوايَ)، وأخرى يقول: (. . . قالَ قَلبي عَلَيكَ الصَمتُ لا صـاحَبتَ فَاكَا)؛ فتلك الأبيات وغيرها ضمانات مستترة يرسلها المتنبـي إلـى عضـد الدولة؛ بحثًا عن رحيلٍ آمن؛ فيقول: (وَأَلبَسُ مِن رِضاهُ فـي طَريقـي. . . سِلاحًا)؛ والمعنى: أروح عنك وقد ملكت شغاف قلبي حبًّا، فلن ينشغل بحب ملك سواك، لما أولاه من النعم استحوذت عليه وقيدته؛ وبذلك استحصل على عهده ووصايته بأن تبقى مودته بعد الفراق، فلا يتحوّل عن حبّه أبـدًا، وأن يسكت عن المديح، فلا يتصدّر المحافل مادًا سواه[١].

ومما أخذه ابن معقل على المعرّي في باب التأويل، تعليقه على قـول المتنبي:

وَما قُلتُ لِلبَدرِ أَنتَ اللُجَينُ ∴ وَلا قُلتُ لِلشَمسِ أَنتِ الذَهَبْ[٢]

يقول المعرّي: "إنى تناهيتُ في مدْحِكَ لم أَجْعَلْكَ، وأنتَ البدرُ فضّةً، ولم أقل: إنك، وأنت الشمس، ذهبٌ، لأن الذّهبَ والفضّةَ يُستهلَكان، والشّـمسُ والقمرُ ليسا كذلك"[٣]. وردّ ابن معقل قائلاً: "تعليلُه بقولِه: لأن الذّهبَ والفضّةَ يُستَهلكَان، والشمسُ والقمرُ ليسَا كذلك ليس بشيء!ولو قـالَ: لأنّ الـذّهبَ والفضّةَ ليسَا في القَدرِ والشّرفِ، بمنزلة الشّمس والقمر لكـانَ صـوابًا"[٤].

(١) راجع المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص١٣: ٢٢.
(٢) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص١١٧.
(٣) المعرّي: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق ، ج١، ص١٠٣.
(٤) المُهَلَّبي: ابن مَعْقِل المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيـب المُتَنَبِّي(المآخـذ علـى شـرح المعري)، مصدر سابق، ص ٤٨ ، ٤٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهنا أراد المعرّي الإبقاء على نشاط ذهن المتلقي، فلجأ إلى الإيجاز كعادته، فقال: (والشّمسُ والقمرُ ليسا كذلك)، تاركًا للمتلقي أن يشاركه إنتاج دلالة النص وتشكيلها، والحق أن ذلك أوهم ابن معقل، فوصف تعليقه بأنه لا شيء، ولو تمهّل قليلا لانكشف له مراد المعرّي؛ ذلك أن المسألة عنده ليست قدرًا وشرفًا وعلو منزلة بقدر ما هي دوام الفضل والمنفعة على الخلق أجمعين إلى ما شاء الله، كدوام الشمس والقمر اللذَين لا يستهلكان من انتفاع الخلق بهما في حين الذهب والفضة يستهلكان وتقل فائدتهما بين الخلق باستعمالهما.

ويظهر ابن معقل في مؤاخذاته على ابن جنّي والمعرّي في صدد التأويل، واعيًا للتحليل النحوي ونظيره البلاغي ودورهما في إبراز المعنى ووضوح الدلالة؛ فجاءت مؤاخذاته في التحليل النحوي من باب الخلافات النحويّة بين أئمة الكوفة والبصرة؛ ولهذا لم تأت مؤاخذاته تخطئة، وإنما جاءت استدراكات تحمل الرأي الآخر؛ فتار يكون محقّا فيما استدرك فيه على الشارح؛ من ذلك الوقوف عند شرح قول المتنبي:

بِغَيرِكَ راعِيًا عَبِثَ الذِئابُ ∴ وَغَيرَكَ صارِمًا ثَلَمَ الضِرابُ(١)

قال الشيخان: يجوز أن يكون نصْبُ "راعٍ" و"صارمٍ" على التمييز وعلى الحال(٢).

(١) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص١٠٠.
(٢)انظر المعرّي: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق ، ج١، ص٨٠.وكذلك ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج١، ص ٢٦٣.

وردّ ابن معقل قائلاً: "الجيّد أن يكون "راعيًا" و"صارمًا" نصبًا على الحال، لا على التّمييز؛ لتقدّمهما على العامل فيهما"(١). وهنا يظهر ابن معقل معتمدًا رأي الجمهور في ترجيح إعراب الحال على إعراب التمييز، وعلته في ذلك أن الجمهور ـــ ومن بينهم سيبويه والخليل ـــ يمنعون تقديم التمييز على عامله المتصرف، غير أن المازني والكسائي والمبرد والجرمي، ذهبوا إلى جواز تقديم التمييز على عامله؛ إذا كان فعلا متصرفًا، وارتضى هذا القول ابن مالك في بعض كتبه، واستدلوا على ذلك بالسماع وبالقياس. أما السماع، فقوله: (أنفسًا تطيب بنيل المنى. . .)؛ وأما القياس: فالتمييز ـــ وهو منصوب ـــ كالمفعول به وسائر الفضلات، وكلهن يجوز تقديمهن على العامل: إن كان متصرفًا ـــ ولم يعبؤوا بأصل، ولم يبالوا به(٢).

---

(١)المُهَلَّبي: ابن مَعْقِل المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي(المآخذ على شرح المعري)، مصدر سابق، ص٤٧.

(٢) يجوز أن يتقدم التمييز ويتوسط بين العامل ومعموله؛ نحو: "طاب نفسا محمد" والأصل: طاب محمد نفسا؛ وجواز التقدم والتوسط هذا باتفاق.وأما بالنسبة إلى تقدم التمييز على العامل والمعمول معا؛ فذهب سيبويه والفراء، وأكثر البصريين والكوفيين إلى أنه لا يجوز تقدم التمييز على عامله، سواء أكان العامل اسما، كما في تمييز المفرد أم كان فعلا، كما في تمييز النسبة، وسواء أكان الفعل جامدا كفعل التعجب، في نحو: "ما أحسنه رجلا! " أم كان متصرفا، نحو: طاب محمد نفسا؛ وعلة امتناع تقدمه على العامل، إذا كان اسما أو فعلا جامدا فظاهرة؛ لأن معمول هذين، لا يتقدم عليهما في غير هذا الباب؛ فعدم جواز تقدمه هنا هو من طرد الحكم على وتيرة واحدة. وأما عدم تقدم التمييز على العامل إذا كان فعلا متصرفا؛ لأن أكثر ما ورد من تمييز النسبة محول عن فاعل؛ ومعلوم أن الفاعل لا يجوز تقدمه على فعله؛ وما كان أصله الفاعل خليق بأن يأخذ ما استقر له. وانظر في هذه المسألة: همع الهوامع: ١/ ٢٥٢، وشرح التصريح: ١/ ٤٠٠، وحاشية الصبان: ٢/ ٢٠٠-٢٠١. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، حاشية ص ٦٧١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتارة لا يكون التوفيق حليفه فيما زعم؛ ومن ذلك وقوفه عند شرح قول المتنبي:

إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى ∴ فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيَا[١]

قال ابن جني: "شبه(لا)بليس فنصب الخبر"[٢]. وردّ ابن معقل: "نعم، هي مُشبَّهة بليس إذا ولِيَتْها النّكرة، وهاهنا ولِيَتْها المعرفة، وإنما حُملَت هاهنا(لا)على(ما)في دخولها على المعرفة لنفي الحال كما حُمِلَتْ عليها في نفي الماضي المقرَّب من الحالِ في قوله تعالى: {فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّىٰ}(*)"[٣].

ففي البيت شبه المتنبي(لا)بليس فنصب الخبر(مكسوبًا و باقيَا). و(لا)تعمل عمل(ليس)إذا وليتها النكرة، وهنا وليتها المعرفة، وهذا أمر فيه اضطراب واختلاف بين النحاة؛ فعند الجمهور تعمل(لا)عمل (ليس)، وذهب الأخفش إلى أنها لا تعمل ذلك العمل، وذهب الزجَّاج إلى أنها ترفع الاسم فقط، ولا تنصب الخبر، والذين ذهبوا إلى أنها تعمل عمل(ليس)اختلفوا في شروط إعمالها، فذهب بعضهم إلى وجوب تنكير معمولَيْها، ولم يشترط ذلك بعضهم[٤].

---

(١) المتنبي: أبو الطيب ، ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج٢، ص540.

(٢) ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج٣، ص ٧٧٧.

(*)سورة القيامة : آية ٣١.

(٣)المُهَلَّبي: ابن مَعْقِل، المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي(المآخذ على شرح ابن جني)، مصدر سابق، ص٣٠٢ .

(٤)محمد: الحسيني، تعدد آراء أبي حيان في المسألة الواحدة، شبكة الألوكة / حضارة الكلمة / روافد، تاريخ الإضافة: ٢٠٠٨/٤/٢٨ م - ١٤٢٩/٤/٢١ ه .

وتباعًا لما سبق فإن ما ذهب إليه ابن معقل من حمل(لا)على(مـــا)في نفي الفعل الماضي المقرّب من الحال، هو اجتهاد خاص به لم يقل به أحـــد النحاة، ولم يحمل أحدهم(لا)في العمل على(ما) الحجازية؛ لأن(مـــا)فرع فـــي العمـــل عن(ليس)، والأصل فيها الإهمال، وهو القياس لأنها حرف مشـــترك في الـــدخول علـــى الأسماء والأفعال، ولهذا أهملها بنو تميم. وإنما أعملها أهل الحجاز لمشابهتها(ليس)مـــن أربعة أوجه: النفي، ونفي الحال، والدخول على المبتدأ والخبر، ودخول الباء فـــي خبرهـــا. وحملـــوا(لا)فـــي العمـــل على(ليس)؛ لأنها أصل في العمل[١].

وعلى العكس من التحليل النحوي يأتي التحليل البلاغي؛ حيث نجد ابن معقل كثيرًا ما يقف منبّها للشيخين، كاشفًا عن إهمالهما صورة بلاغية لهـــا قيمة تعبيرية فنيّة في نص المتنبي؛ من ذلك وقوفه على شرح ابن جنّي قول المتنبي:

---

(١) يرجع فيها إلى : الكتاب ١ ــ ٥٧ / الواضح ٩٣ / اللمـــع فـــى اللغـــة العربيـــة ١٢٣ / التبصرة والتذكرة ١ ــ ١٩٨ / العوامل المائة ٢٢٣ / شرح المقدمة المحسبة ١ ــ ٢٧٦ / المقتصد فى شرح الإيضاح ١ ــ ٤٣٧ / شرح عيون الإعراب ١٠٥ / المفصل ٣٠ ، ٧٢ / أسرار العربية ١٤٣ / المقدمة الجزولية فى النحو ١٥٧ / الإيضاح فى شرح المفصل ١ ــ ٣٩٧ / شرح الرضى على الكافية ١ ــ ١١٢ ، ٢٦٦ / المقرب ١ ــ ١٠٢ / التسهيل ٥٦ / عمدة الحافظ ١١٧ / الإرشاد إلى علم الإعراب ١٥٩ / شرح ابـــن النـــاظم ١٤٥ / شرح ألفية ابن معطى ٢ ــ ٨٨٤ / شرح ابن عقيل ١ ــ ٣٠١ / المساعد علـــى تســـهيل الفوائد ١ ــ ٢٧٧ / شفاء العليل ١ ــ ٣٢٨ / الجامع الصغير ٥٧ / شذور الذهب ١٩٢ / أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١ ــ ١٩١ / الصبان على الأشمونى ١ ــ ٢٤٨ / شرح القمولى على الكافية ٢ ــ ٣٤٤ / الفوائد الضيائية ١ ــ ٣٠٥ ، ٤٥١ / ارتشاف الضرب ٢ ــ ١٠٣ / شرح اللمحة البدرية ٢ ــ ٣٨ / شرح التحفة الوردية ١٧٧ / شرح التصريح ١ ــ ١٩٦ / الهمع ١ ــ ١٢٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إلى اليَومِ ما حَطَّ الفِداءُ سُروجَهُ ∴ مُذُ الغَزوُ سارٍ مُسرَجُ الخَيلِ مُلجَمُ[١]

فقد قال ابن جني: "أي: هو سارٍ مذُ الغزوُ، والغزوُ مرفوعٌ بالابتداء، وخبرُه محذوفٌ، والتقدير: مُذِ الغزوُ كائنٌ أو واقعٌ. ومثله قولهم: زرتك إذ ذاك فذاك مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف، كأنه قال: إذ ذاك كذاك، وإذ ذاك كائن. وقال الشاعر: (. . . فالحُسنُ مِنها بحيثُ الشّمسُ والقمرُ)أي: بحيث هما كائنان أو موجودان، وكان ربَّما أنشدَه: /مُذُ الغزوِ، بالجرّ، وتقديره؛ مذْ زمن الغزوِ، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مُقامه، وإنما كان يجرُّ الزّمن؛ لأن معناها معنى(في)كما تقول: أنت عندنا مذُ اليومِ، وما زلتُ مُذُ الليلة ضاحكًا، أي: في اليوم والليلة"[٢].

وردّ ابن معقل: "أحسنتَ ــ يا نحويَّ عصرِه ــ بجعلك في جملة مستقلة بنفسها من مبتدأ وخبر تقدير مبتدأ وخبر محذوفين!وما الحاجة إلى تقدير (كائن) مع (الغزو) وهو مع(سار)؟ولم لم تجعل(سارٍ)خبرًا عن(الغزو) فيكون من باب: ليلٌ نائمٌ ونهارٌ صائمٌ؛ أي: ينام فيه، ويصام، كقوله: (ونمت وما ليل المطيّ بنائم)، ولكنك لم تتنبّه لهذا المجاز البليغ وتهتد له، وحملت الكلام على الحقيقة في صفة الممدوح بهذا التقدير البعيد، فوقعت في الخطأ الشديد!"[٣].

(١) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق ، ج٢، ص٣٠٤.
(٢)ابن جني: أبو الفتح عثمان، الفسر، مصدر سابق ، ج٣، ص٥٢٥.
(٣)المُهَلَّبي: ابن مَعْقِل المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي(المآخذ على شرح ابن جنّي)، مصدر سابق، ص٢٧٥.

انشغل ابن جنّي بالتحليل النحوي(*)في البيت، وأسند الفعل إلى فاعله الحقيقي(الفداء)، تماشيًا مع السياق العام في النص، وهو المدح، حيث لم يزل الفداءُ من وقت الغزو يسعى في إطلاق أسرى المسلمين وفك رقابهم؛ لينالوا الحرية، ولم يحط سروجه عن خيوله؛ استعدادًا لغزو ديار العدو، وهنا يكون ابن جنّي قد أهمل الجانب البلاغي في البيت، المتمثل في المجاز العقلي(*)، وهذا ما تنبّه إليه ابن معقل وأشار إليه في نقده. والحقيقة أنّ في تغافل ابن جنّي عن جانب المجاز في البيت هو تغافل لحركة الفكر عند

(*) مذ ومنذ: مركبان من (من وإذ)، فغيرا عن حالهما في إفراد كلّ واحد منهما، فحذفت الهمزة، ووصلت من بالذال، وضمت الميم للفرق بين حالة الإفراد والتركيب، والدليل على أن كلا مركب من (من وإذ) قول بعض العرب: مذ ومنذ (بكسر الميم)، فدلّ على أنهما مركبان، وإذا ثبت أنهما مركبان كان الرفع بعدهما بتقدير فعل، لأن الفعل يحسن بعد إذ، والتقدير: ما رأيته مذ مضى يومان، ومنذ مضى شهران، ومن خفض بهما، فقد اعتبر من، ولهذا كان الخفض بمنذ أجود، لظهور نون من فيها، تغليباً لمن، والرفع بمذ أجود، لحذف نون (من) منها، تغليبًا لإذ، ويدل على أن أصل مذ (منذ) أنك لو سميت بها. قلت في تصغيره: منيذ، وفي تكسيره: أمناذ، فتردّ النون المحذوفة، لأن التصغير والتكسير يردّان الأشياء إلى أصولها، هذا قول أصحابنا الكوفيين. وقال البصريون: هما اسمان، فيرتفع ما بعدهما، لأنه خبر عنهما، ويكونان حرفي جرّ، فيكون ما بعدهما مجروراً بهما، وإنما بنيا لتضمنهما معنى من وإلى في قولك: ما رأيته مذ يومان، معناه: ما رأيته من أوّل هذا الوقت إلى آخره، وبنيت مذ على السكون، لأنه الأصل في البناء، ومنذ على الضمّ، لأنه لما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين حرّكت بالضمّ. لأن من عادتهم أن يتبعوا الضمّ الضم.انظر شرح العكبري ديوان المتنبي، أبو البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا/إبراهيم الأنبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة – بيروت ، ج٤، ص٨٨.

(*) المجاز العقلي هو إسناد المتكلم الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له في اعتقاده، لملابسة بينهما، مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له في اعتقاده. وغالبا ما تكون القرينة قرينة فكرية، تدركها الأذهان ولو لم يأت في العبارة ما يدل عليها، وقد تكون قرينة لفظية أو حالية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المتنبي، حين أسند معنى من المعاني(السير ليلا)إلى غير الموصوف به في اعتقاده هو(الغزو)، حيث أراد أن يصف ممدوحه بعدم التواني في غزو ديار الأعداء، في الليل والنهار، ولهذا قال: (مُذُ الغَزوُ سارٍ). هذا الإسناد قد وجدت نظائره في كلام بلغاء العرب، ويلاحظ في هذا المثال أن كل لفظة فيه مستعملة في معناها الأصلي بحسب الوضع اللغوي، لم يحدث فيها تجوز ما، لكن الذي يحصل هو التجوز في الإسناد، فبدل أن يسند(السير ليلا) إلى الممدوح (الفداء)، فيقال: (ما حَطَّ الفِداءُ سُروجَهُ سارٍ مُذُ الغَزوُ) ــ وهو الوجه الذي تأوله ابن جنّي ــ أسنده إلى الغزو، والعلاقة هي الظرفية الزمانية.

ومع ما في هذا الإسناد من فنية أدبية تعجب مشاعر الأديب، فله غرض بياني، وهو الدلالة بإيجاز على أن الفداء يستغرق عمره كاملا ليله ونهاره يقود الحملات إلى بلاد الروم. هذه العملية التجوزية حركة فكرية في الإسناد والوصف، وليست تجوزا لغويًّا في استعمال الكلمة للدلالة بها على غير معناها الأصلي في الاصطلاح الذي يجري به التخاطب؛ ولهذا كان جديرًا بأن يسمى "مجازًا عقليًّا" أو "مجازًا فكريًّا" أو مجازًا في الإسناد" أو "مجازا حكميًّا" أي: في الحكم، وقد اشتهر عند البيانيين أنه مجاز عقلي.

وقد وقف ابن معقل منبّهًا المعرّي إلى الصورة البلاغية في قول المتنبي:

أَتَتْرُكُني وَعَينُ الشَمسِ نَعلي ∴ فَتَقطَعُ مِشيَتي فيها الشِراكا(١)

(١) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، مصدر سابق ، ج٢، ص١٦.

حيث قال المعرّي: "هذا استفهام ليس عن جهل، وإنما هو تقرير وإعلام أن ما يفعله خطأٌ، ولكنّه مضطرٌ إلى فعله، كما تقول للرجل: أتُكرمُني هذه الكرامة وأفارقك؛ أي: إنّ ذلك لا يجبُ، ولا يحسنُ، لأنّك قد رفعتني حتى جَعلْت عينَ الشّمس نعلِي، فأمشي فيها مشيًا يقطعُ الشّراك؛ أي: لا ينبغي أن أفعل ذلك"(١).

وردّ ابن معقل: "إنّ هذا ضَرَبه مثلًا، أي: قد أحْلَلْتني مَحلَّةً رفيعةً، فأنا لا أعرفُ حِفْظَهَا، ولا أحسِنُ التمتُّع بها. فجَعَل الشمسَ بمنزلة النَّعلِ الحَسَنة، التي ينبغي للابِسها أن يرفُق بها، لئلا ينقطع شراكُها فتسقط من رجلِه، وفي هذا غضٌّ من نفسه وتحقيرٌ لها، أي: لستُ من أهلِ هذه المنزلة، ولا مِمّن يعرفُ قدرَ هذه النعمة فيحافظ عليها، وهذا من جليل الأمثال ودقيق المعاني"(٢).

وهنا تغافل المعرّي عن التشبيه الذي عقده المتنبي بقوله: (وَعَينُ الشَمسِ نَعلي)، وهو تشبيه بليغ يعتمد على المبالغة والإغراق في ادّعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه، لذلك لا تذكر فيه أداة التشبيه، ولا وجه الشبه(*)، وربما تغافل المعرّي عن هذه الصورة البلاغية راجع إلى أنها مما

(١) المعرّي: أبو العلاء، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق ، ج٢، ص٨٦٠.
(٢) المُهَلَّبي: ابن مَعْقِل المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي(المآخذ على شرح المعري)، مصدر سابق، ص١١٣، ١١٤.
(*) أقلُّ التشبيهاتِ مرتبة في البلاغة ما ذُكرتْ أركانهُ جميعُها، لأنَّ بلاغةَ التشبيهِ مبنيةٌ على ادعاءِ أنَّ المشبَّهَ عينُ المشبَّهِ به، ووجودَ الأداةِ، ووجهَ الشبه معًا، يَحُولانِ دُون هذا الادّعاءِ، فإذا حذفتِ الأداةُ وحدَها، أو وجهُ الشبَّهِ وحدَهُ، ارتفعتْ درجةُ التشبيهِ في البلاغةِ قليلًا، لأنَّ حذفَ أحدَ هذين يُقوّي ادعاءَ اتحادِ المشبَّه والمشبَّه به بعضَ التقويةِ ــ أمَّا أبلغُ أنواعِ التشبيهِ «فالتشبيهُ البليغُ»، لأنه مبنيٌّ على ادعاءِ أنَّ المشبَّهَ والمشبَّهَ به شيءٌ واحدٌ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

جرت عليه عادة العربُ والمُحدَثين في تشبيهِ: العالي المنزلةِ بالنَّجمِ، والحليمِ الرَّزينِ بالجبَلِ، والجوادِ بالبحرِ والمطرِ، والشجاعِ بالأسدِ، والوجهِ الحسنِ بالشمسِ والقمرِ، والشهمِ الماضي في الأمور بالأحلامِ، والوجهِ الصبيحِ بالدينارِ، والشَّعرِ الفاحمِ بالليلِ، والماءِ بالسيفِ، إلى غير ذلك من التشبيهات البليغة.

أما ابن معقل فقد اهتدى إلى التفاعل البلاغي في السياق بين التشبيه والتمثيل، فقدّم تأويلاً بلاغيًّا ربط فيه بين عناصر الصورة التمثيلية وتراكيب النص المعنوية؛ حيث إنّ التشبيه التمثيلي يحتاج في تحصيله إلى ضرب من التأويل والصرف عن الظاهر؛ لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية، ويتحقق ذلك فيما إذا كان وجه الشبه ليس حسيًّا، ولا من الأخلاق والغرائز، والطباع العقلية الحقيقية، ولكنه يكون عقليًّا غير حقيقي، أي غير مقرر في ذات الموصوف. ومثاله قولهم: هذه حجة كالشمس في الظهور، فقد تم تشبيه الحجة بالشمس من جهة ظهورها، ولكن هذا التشبيه لا يتم إلا بتأوُّل، وذلك أن يقال: حقيقة ظهور الشمس أو غيرها من الأجسام ألا يكون دونها حجاب ونحوه، مما يحول بين العين وبين رؤيتها، والشبهة نظير الحجاب فيما يدرك بالعقول، لأنها تمنع القلب رؤية ما هي شُبهة فيه، كما يمنع الحجاب العين رؤية ما هو دونه؛ لذا توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب إدراكه، ويصرف فكره للوصول إليه من صحة حكم أو فساده، فإذا ارتفعت الشبهة قيل: هذا ظاهر كالشمس، أي لا يوجد مانع عن العلم به[١].

(١) انظر الجرجاني: عبدالقاهر، أسرار البلاغة، مصدر سابق، ص٩٢.

وفي الأخير نخلص إلى أن القراءة الواعية للنص الشعري لا تقنع بالوقوف عند المعاني المعجمية للألفاظ؛ ذلك أن التفسير المعجمي للألفاظ يعمد إلى تحليلها خارج السياق الموضوعي للنص، وإنما تكتسب اللفظة قيمتها وشعريتها من خلال السياق الذي يشكِّل معناها تشكيلاً جديدًا، ويكسبها إيحاءه، مكونًا بذلك صورة شعرية تحول الشيء المعتاد إلى أمر غريب، وتضعه في سياق غير متوقع هو من صنع الشاعر، فيتحرك ذهن القارئ محاولاً فهم النص والوقوف على غايته، وهذا في حدِّ ذاته لونٌ من المشاركة الفاعلة من جانب القارئ.

وأن الشروح تمثل مستويات هذه القراءة في التراث العربي القديم، ويتمتع أصحابها بقدرة كبيرة في الغوص على المعاني، وتقليب وجوه النظر، معتمدين على المعايير المعنوية، واللغوية، والبلاغية؛ لإبراز المعنى، وإيضاح الدلالة، ومن ثمّ جاءت ممارسة القراءة النقدية عند ابن معقل ساعية إلى بناء نص موازٍ لتلك الشروح، معتمدة مسوغات القراءة نفسها، بوصفه متلقيًا مشاركًا في إنتاج المعنى، وقد تمتع ابن معقل بجرأة جعلته يعترض على ابن جنّي والمعرّي أحيانًا، أو يبدي رأيًا مغايرًا لآرائهما، مطلِقًا العنان لجرأته في الهجوم العنيف عليهما، رغم فضلهما وسعة درايتهما. ومجمل القول لم يقدّم ابن معقل مسوغات أو إستراتيجيات جديدةً في مآخذه على شرحي ابن جنّي والمعرّي، فجاءت في الإطار ذاته تعتمد المعايير المعنوية، واللغوية، والبلاغية، وترتكز على الفهم، والتفسير، والتأويل في حلّ إشكالية أنموذج مشكل ــ لغة ومعنى ــ من نماذج التراث العربي.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع

١. أنيس : إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩٢م.
٢. الأفليلي: أبو القاسم، شرح شعر المتنبي ، تحقيق مصطفى عليّان، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
٣. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف.
٤. ابن الرومي: الديوان، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية/بيروت، ط ٣ ، ٢٠٠٢م.
٥. ابن بسام النحوي، سرقات المتنبي ومشكل معانيه ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.
٦. ابن جني: أبو الفتح عثمان:
ـ الفسر شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، تحقيق رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٤م.
ـ الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية .
٧. ابن سيده، شرح المشكل من شعر المتنبي ، تحقيق مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، ١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦م .
٨. ابن سنان: أبو محمد عبدالله ، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ١٩٨٢م
٩. ابن عباد: الصاحب، الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، تحقيق محمد حسين آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٥م .
١٠. ابن فورجة : الفتح على أبي الفتح ، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق .

١١. ابن منظور: لسان العرب، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي/بيروت لبنان، ط٣ ، ١٩٩٩م.
١٢. ابن هشام الأنصاري : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
١٣. بلاشير: ريجيس، أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، ط٢ ، ١٩٨٥م.
١٤. البرقوقي: عبدالرحمن، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، لبنان ــ بيروت، ١٩٨٦م.
١٥. البديعي: يوسف، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي(مطبوع بهامش شرح العكبري)، المطبعة العامرة الشرفية، ط١، ١٣٠٨هـ.
١٦. البحتري: الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف / مصر، مج ٣، ط ١٩٦٤ م.
١٧. التبريزي، أبو زكريا، الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي، تحقيق خلف رشيد نعمان، العراق/ بغداد، ٢٠٠٠م.
١٨. التفتازاني: سعد الدين، مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني، ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩. الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، ط١، ١٩٤٣م.
٢٠. الجرجاني: عبدالقاهر:
ــ أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة .
ــ دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة.
٢١. الجرجاني: علي بن عبدالعزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصريّة / بيروت، ط١ ، ٢٠٠٦م،

٢٢.حبنّكة: عبدالرحمن، البلاغة العربية: (أسسها وعلومها وفنونها)، دار القلم دمشق بيروت.
٢٣.حسين: طه، مع المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط٢٠١٣م
٢٤.الحاتمي: أبو علي محمد بن الحسن، الرسالة الموضِحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره، تحقيق: محمد يوسف نجم. دار صادر – بيروت. ١٩٦٥م.
٢٥.ربابعة : موسى، جماليات الأسلوب والتلقي(دراسات تطبيقية)، موقع وزارة الثقافة الأردنية، أدباء وكتاب، ٢٠١٣م. www. culture. gov. jo
٢٦.شبايك: عيد محمد:
ـ الشاهد الشعري في مبحثي الفصاحة والبلاغة١/٣، دراسات ومقالات نقدية وحوارات أدبية، حقوق النشر محفوظة لموقع الألوكة، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.
٢٧.شرارة: عبد اللطيف، معارك أدبية قديمة و معاصرة، دار العلم للملايين، لبنان.
٢٨.الشنقيطي: أحمد بن الأمين، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، وضع حواشيه محمد باسل، دار الكتب العلمية
٢٩.ضيف: شوقي ، الفن ومذاهبه، دار المعارف/ مصر.
٣٠.عباس: إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط١٩٨٤م.
٣١.عمر: أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب/القاهرة، ط٦ ، ١٩٨٨م.
٣٢.عبد الحميد: محمد محيي الدين، عُدّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

٣٣.عبد السلام: مصطفى بيومي، التناص النظرية والممارسة، صدر حديثا عن دار أفريقيا الشرق بالمغرب.
٣٤.عبد المطلب: محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، ط١٩٩٧م.
٣٥.عبد المجيد: جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية للكتاب، ط١٩٩٨م.
٣٦.العكبري: شرح ديوان المتنبي، تحقيق مصطفى السقا/ وإبراهيم الأنبياري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر/ القاهرة، ١٩٥٦م.
٣٧.العميدي: أبو سعد محمد بن أحمد، الإبانة عن سرقات المتنبي، تحقيق إبراهيم الدسوقي، دار المعارف/ مصر، ط١٩٦١م.
٣٨.الغذامي: عبد الله ، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية – نظرية وتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٩٨م.
٣٩.الغزي: أبو البركات بدر الدين محمد بن رضي الدين، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق أحمد عنتر أمين، دار الكتب العلمية.
٤٠.الغيث: نسيمة، البؤرة. . . ودوائر الاتصال، دراسة في المفاهيم النقدية وتطبيقاتها، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٠م.
٤١.فضل: صلاح، شفرات النص، ص١٢٥، عين للدراسات، القاهرة ١٩٩٥.
٤٢.محمد: الحسيني، تعدد آراء أبي حيان في المسألة الواحدة، شبكة الألوكة / حضارة الكلمة / روافد، تاريخ الإضافة: ٢٠٠٨/٤/٢٨م- ١٤٢٩/٤/٢١هـ .
٤٣.مشبال: محمد، البلاغة وحكمة اللغة، مجلة فكر ونقد(مجلة ثقافية شهرية)، النهضة ــ الرباط ــ المغرب، السنة الثانية، العدد ١٧، ١١مارس١٩٩٩م.
٤٤.مندور : محمد، النقد المنهجي عند العرب: منهج البحث في الأدب واللغة، دار نهضة مصر، ١٩٩٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٤٥. المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصريّة/ بيروت، ط ٢٠١٤م.

٤٦. المعري: أبو العلاء:

ـ شرح ديوان المتنبي، معجز أحمد، تحقيق عبد المجيد دياب ٥٦/١، القاهرة ١٩٦٨م.

ـ اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تحقيق محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١ ، ٢٠٠٨م

٤٧. المُهَلَّبي: أحمد بن علي بن مَعْقِل، المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي(المآخذ على شرح ابن جني)، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.

٤٨. نوفل: يوسف، مدارات النص الكلي في الإبداع الشعري، دار العالم العربي، ط٢٠١١م.

٤٩. النامي : أبو العباس أحمد، شعر النامي، تحقيق صبيح رديف، مطبعة الإيمان بغداد، ط١٩٧٠م.

٥٠. هيئة علماء المسلمين في العراق، دقائق علمية: الأدلة على جموع القلة في العربية. متاح على m. iraq-amsi. net

٥١. الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ضبط وتعليق ياسين الأيوبي، وقصي الحسين، دار الرائد العربي/ بيروت لبنان، مج٣، ط١، ١٩٩٩م.

٥٢. يحيى: عباس، الخصومة حول المعنى(المعنى الشعري بين احتكار القراءة ورفضها) ابن وكيع التنيسي أنموذجًا، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩، العدد٣ و٤ ، ٢٠١٣ م .

٥٣. يونس: دعد، مناهجُ خصومِ المتنبّي في دراسةِ سرقاته الشعريّة، مجملة جيل الدراسات الأدبية والفكرية –العام السابع – العدد ٦٣ يوليو ٢٠٢٠م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٩٣٠٧
٢-	Abstract	٩٣٠٨
٣-	مقدمة :	٩٣٠٩
٤-	المحور الأول : الخطاب النقدي وديوان المتنبي	٩٣١١
٥-	المحور الثاني : مسوغات قراءة ابن جني والمعرّي ديوان المتنبي	٩٣٣٠
٦-	المحور الثالث : الرؤية النقدية عند ابن مَعْقِل في مآخذه على شرح ابن جنّي والمعرّي	٩٣٦٦
٧-	المصادر والمراجع	٩٣٩١
٨-	فهرس الموضوعات	٩٣٩٦